رواية

من الواقع الأليم

مذكّرات شهيدة



تُقى الموسوي

مذكرات شهيدة

تقى الموسوي

تقديم:

الى رائدات الجهاد، وشريكات المحن، الى اللائي لم تقعد بهن الاحلام الوردية، ولا لذائذ الدنيا المغوية، عن السير نحو الله، قد استعذبن العذاب في سبيله احياء لدينه، واتماما لنوره، فما نكصن عن المسير في الطريق الدامية، ولا تثاقلن عن المضي نحو الغاية السامية بنور الصبر واليقين عبر دهماء المصائب، واعتكار النوائب.

الى السائرات في درب الاسلام العظيم وأخص منهن معلمتي شهيدة العراق الخالدة بنت الهدى، اهدي هذه المذكرات:

من كتاب الجهاد الكبير المسطور للمرأة الثائرة في عراقنا، ومن سجل التضحية الذي كتبت فيه بحروف من دمها وعنائها قصة البذل والفداء، ومن النار المسعّرة لتلك الهموم المقدسة والآهات الشريفة، والحسرات الرضية، والأنات العاشقة تحت سياط الجلادين تتصعد الى رب العالمين. تستخرج هذه الذكريات لواحدة من بنات الايمان، ونساء العقيدة، وحاملات المشعل، وناشرات اللواء، ثورة على الباطل الكريه، وطلبا لنصرة الحق واعزازه، وتمكينه من زمام الريادة لمجتمع صهرته رمضاء الآلآم المضنية في مفاوز الذل والحرمان، في أكناف الجاهلية البعثية _ مشاركة منهن لاخوانهن الرجال في ملاحم الكفاح الاسلامي المقدس، وفي ثوابه وجزائه سواء بسواء على هدي قوله سبحانه:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

المذكرة الاولى

احتجبت آخر خيوط الشمس، واختفى قرصها عن الأنظار، وبدأ الظلام يدب رويدا فيكسو الطبيعة بوشاحه الأسود، جثم على الكون وعلى النفوس، وكأنما كانت الشمس تسرّي عنها بعض ما يلمّ بها في أحشاء الليل فاذا ما تقلصت ظلالها وإنحدرت نحو الأصيل وتلونت صفحة المغرب بالدماء، تكاثفت الهموم في القلوب موجعة رهيبة.

القلق يدب في نفسي، الهواجس تنتابني من كل مكان فلماذا؟ لماذا هذا القلق وهذا التوجس وهذه الخشية؟ أيخشى المؤمنون من غير الله؟ ايقلقون لغير آخرتهم؟ ايعبأون بغير الوعيد لمن فسقوا عن سبيل الله؟.

المؤمنون المخلصون شغلتهم امور آخرتهم عن أمور دنياهم، إنهم يزرعون ليجنوا غدا، إنهم يزرعون حتى ولو علموا إنهم يزرعون للأجيال القادمة لا لانفسهم.

حقا انني لضعيفة، لماذا هذا القلق وهذا التوجس؟ مالي أراني ريشة في مهب ريح عاتية، جسمي يكاد يهوي على الارض، عيناي لا تثبتان على شيئ، أفكاري لا تهدأ، تأملاتي المضطربة لا تنضب، هاهما يداي تشتغلان وحدهما وأنا لا أدري كيف تدوران، وكيف يعتصر بعضهما بعضا، حقا انني لصغيرة على صروف الحياة أريد منها ما يرضيني، وما يريحني، اريدها مفروشة بالورود، مكللة بالرياحين، موشاة بالحرير، فلا تنتابها الرياح العواتي، ولا تعتريها الوحوش الضواري، نعم نظرت الى نفسي بعد أن فطنت الى ما يجري في داخلي فرأيتني كطفل صغير يطلب ما يرضي رغباته، ذرعت الغرفة جيئة وذهابا وإذا بعينيّ تقعان على قوامي في المرآة، لمحت شكلي فاذا بي جسم عريض طويل، رأس كبير، أسدلت جفني على عيني كالذي يعتريه الخجل، وخرجت مسرعة الى ساحة الدار، وكانت تلك الليلة مظلمة، وفي الليالي المظلمة يتألق إشراق النجوم تألقا، ويشتد لمعانها، تعلق ناظري بالعظمة في بديع صنع السماء، وخشع قلبي لجلال المنظر ورددت قوله تعالى (وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ، وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ).

وكأنما طردت عن عيني تلك الأشباح الممضة، وعن خاطري تلك التأملات الخبيثة، فهذه الأجرام المترامية، وهذه السماء العظيمة وما انتشر على صفحتها من هذه الصنائع العجيبة، ولمح في ذهني قوله تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ).

صرفني عن كل ما ألم بي وانتابني من خوف، لقد فتر ارتعاد اطرافي. وسكنت جوارحي، (أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).

وهدأ وجيب قلبي، نزعت عن نفسي ذلك الجلباب الحالك الذي لبسته، وفككت عن قلبي ذلك الغل الذي طوقه، أخذت اروض نفسي على أن تعود الى أيسر حالها آمنة مطمئنة، سألت روحي المضطربة الحائرة لماذا ومم الخوف، لماذا القلق؟ قلّبي يا نفس صفحات التاريخ، انظري فيه جيدا ماذا ترين؟ انها مسيرة واحدة، نهر من الدماء الزكية يجري فلا ينقطع، أيديهم مقيدة، أفواههم مكمومة، ما تصدر صيحة الا ويصكها إعصار، ولا تنجم ناجمة الا ليقطعها سيف ظالم، قطعت ألسنتهم في أفواههم، او استلت من أقفيتهم، علقوا في جذوع الاشجار، بنيت عليهم المباني وهم أحياء حتى لاقوا ربهم، صهرت جلودهم، بقرت بطونهم، فما استكانوا ولا لانوا، وظل طريقهم مشرقا، وانقلبت دمائهم مشاعل تنير الطريق، يستضيئ بها الذين يريدون الحق، ويبتغون هداه وسداده، انظري يا نفس الحائرة الى ما يجري اليوم على هذه الساحة فلن تريه غريبا، انظري الى ما يتكرر في هذا البلد من سالف الظلم ولكن بعين قدوتك الزهراء فإنك لو نظرت بها لملئت نشوة وطربا، ولتنفست الصعداء بعد كبت الغماء، لشممت أريجا لم تتشمميه من قبل، انه أريج البهجة والهناء.

سترين الراحة التي تنشدينها من قبل، ستفوح من جراحك الدامية وآلامك العظيمة، أنسام شذية، ستعلمين انك ركبت سنن الاولين الصالحين، وبدأت بالتقرب الى السماء، وما معنى ان يتقرب الانسان الى السماء؟ انه يرتفع عن تفاهات الأرض، وقيم الانسان الترابية، انه يدرك الغاية، ويعرف الطريق فلا يخبط خبط عشواء، ولا يتعثر بأذيال الخيبة والفشل، انه يسير بأقدامه الدامية، يحرقه لهب الصحراء فلا يتأوه، ولا يتذمر، لانه يعدو ليحقق حلمه الكبير، وأمله العظيم، وهدفه السامي.

عودي يا نفس تأسي بمن كان قبلك، احرقت جلودهم حتى أطفأ صديدها النيران، كبتت أنفاسهم حتى كادت تخرج أرواحهم من أجسادهم، وضعوا في طاحونة الأذى، ولكنهم صابرون محتسبون وهم بعد حديثوا عهد بالرسالة، لم يطلعوا الا على هوامش منها.

أتدرين ان أول من ضحى في سبيل الله امرأة مملوكة كانت تخضع لسيدها وتقضي شؤونه، تخدم صبيانهم، يا نفس ثوبي الى رشدك واسألي من سمية عن ما لاقت من بلاء، ها هي امامك فاطرحي عليها ما لديك من اسئلة:

ايه ام عمار حدثيني بالذي جرى عليك؟

وترد ام عمار قائلة:

لقد وضعني جلادي في جلود الماء امور فيها ابحث عن الهواء فلا اجده، فما أن اشارف على النهاية حتى يخرجني جلادي لتعود اليّ قليل من الانفاس، فاعاود الصبر والثبات. والاقسى من هذا انني انظر بعينين والهتين دامعتين الى طريحين بجنبي يئنان انيني، وهما اعز ما لديّ في هذه الحياة، بل كل شيئ عندي في هذه الدينا بعد ايماني، انهما زوجي الشيخ ياسر، وابني اليافع عمار، انني اسمع استغاثتهما فلا أحزن، ولا يحز بي الغم، انني أخاف عليهما خيفة موسى ابن عمران امام السحرة اني اخشى عليهما ان يغلبهما الألم على ارادتهما وايمانهما فيقولان ما لايرضي الرب، وما يسخط النبي.

باختصار هذا ما قالته سمية لي وأنا احاول ان استحضر صورتها المنيرة في فؤادي لاستضيئ بذلك الصمود المبدع في عالم التضحيات.

هذه اول شهيدة قدمها الاسلام على طريقه الدامي العسير، وأول فداء له، على دربه الزاهر المنير الذي لا يبصره أهل الغي ولا يدركه العُمي الذين علت عيونهم غشاوة الجهل والباطل.

يا نفس لست بحاجة لان اذكرك بزينب فتلك شمس لا يخفى ضوؤها على ناظر، ولا يحجب نورها عن مبصر.

واناديها:

يابطلة التاريخ المضحي الدامي، اعطني من صمودك وتضحياتك وكلميني عن مشاعرك وانت ترين الاضاحي من ال هاشم مجندلين تحت ضوء النجوم، وشعاع القمر تسفيهم الرياح، وتذروهم الرمال.

سيدتي العقيلة يا بطلة كربلاء، يا صيحة الرفض التي جاوزت اعنان الفضاء، يا اسطورة التضحية والفداء، هل لي ان اسألك، وهل يحق لي مناجاتك وانت في عليائك

وترد عليّ:

وهل ترين فيّ اثر لتلك النكبات؟ وهل تسمعين مني صيحة اثر تلك الضربات؟

او يترك النمل اثرا اذا ما مشى فوق الصخور؟ ام هل تحجب الشمس بالغرابيل؟

لا يا سيدتي لا يمكن هذا مطلقا.

_ فما بالك ترتعدين، اترين عليّ شيئا من وقع الخطوب، شدّي جراحك واتبعيني حيث امضي لا أحيد.

_ وهل يمكنني فعل ذلك؟

_ ولم وهل من كن قبلك جئن من السماء؟ او من كواكب غابت عن الأبصار؟

اجبت سيدتي: نعم سأشد الجراح وأمضي الى سوح النضال، بهذا القلب الرهيف، وهذا الجسم النحيف، وسألحق بركب من سرن قبلي، فحظين بالشرف، واعتلين قمم العلياء.

انظري نساء المهاجرين والأنصار هاجرن مع من هاجروا، جاهدن مع من جاهدوا، وضحين بالولد والزوج والاب، كل ذلك دأبا لارضاء الرب، واعزازا لرسالة السماء.

ورأيت نفسي أرجع بخاطري خطوات الى الوراء وأحدق في هذه المسافات الشاسعة التي قطعها المخلصون من اولياء الله على ما فيها من العناء والبلاء بثبات لا يماثل، وعزيمة لا تجارى، وصبر عزّ له مثيل، رأيت الاوائل الاكرمين الذين نشروا بمناشير الحديد فذهبوا الى بارئهم أوصالا ممزقة، وأشلاء مقطعة، لم يتحولوا ولم يتبدلوا وظلوا للحقيقة أوفياء أُمناء، رأيت أتباع فرعون من السحرة الذين رأوا الحق فاتبعوه، واذعنوا لسلطانه، يمتد اليهم بأس طاغوتهم ليقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم في جذوع النخل فلا ينال ذلك من عزائمهم ولا يفت في أعضاد رسوخهم ويقولونها باسلة جريئة (فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَآ).

رأيت أصحاب الاخدود (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ) يخيرون بين النار المتلظية اذا اختاروا الايمان، وبين الحياة الدنيوية المنعمة اذا حادوا عن طريقهم الذي دلهم عليه العقل والفطرة والوجدان، فتدوي لهم صرخة الشموخ لا العمى والضلال والباطل، نعم للهدى والحق والرشاد فيقدمون في السعير بوقدة من اليقين أورى من اللظى، وحرارة من العزم أشد من الجحيم.

هلمي بالمزيد من الآيات الباهرات على جهاد المؤمنات، وبطولات الثائرات، فهذه في بيت فرعون امرأة مثلي لها أحاسيسي، عن الحياة، بل هي أدنى اليها لأنها في بيت لم يعرف غير الترف والنعيم، ولها اقبالها على الدنيا في ذرواتها العالية بأبهى أشكالها، وأزهى ألوانها، ها هي تكفر بالنعيم، وتركل برجليها الضعيفتين هذا الركام الهائل من الحطام. لتقول مرحى للحقيقة، وتحضن الايمان احتضان الوالهين ثم لا يصدها عنه ما تعلم انه مصيبها من كيد فرعون وغضبه مما رأت مثله او دونه مما أصاب ماشطة بناتها تلك التي آمنت بموسى فما ثناها عن ايمانها ذلك الوعيد، ولا حر الاذى ولذع الحديد، حتى قضت على شر حال من

العذاب في بحره العباب يتقاذفها موجه الصخاب، بعد ما رأت أولادها يقذفون أمامها في التنور، يتلو بعضهم بعضا حتى أكلتهم النار اللاهبة، فما لانت ولا هانت، ولا ضعفت، ولا استكانت.

ها أنا أمضي عبر هذه الدماء الطاهرة للُاباة الثائرين التي أرهقتها سطوات الجبارين، وعبر هذه الأكداس الهائلة من الأجساد الزاكية للهداة الميامين، قد قطعتها السيوف المواضي لطواغيت عصورهم، ولا أدري لماذا يتمثل لي من بين كل اولئك ذلك التقي الأبي حجر بن عدي وهو يحفر قبره بيده والسيف مشهور فوق رأسه يتربص به ساعة يتم لحده حتى يذوق حده، ويأبى متوسلا الا أن يقتل ولده وثمرة فؤاده أمامه ليموت هو قرير العين، ناعم البال بعد خوفه عليه أن يبقى فيغلبه الخوف على دينه .

أتريدين ان أحدثك عن كل ذلك، لا لست بحاجة، الى أن أقص عليك المشاهد الزاكية الماضية، وانما اريد منك أن تصنعي المشاهد. وأن تكتبي مع الذين يكتبون في لوح الواقع المشهود، وتصمدي مع الذين يصمدون فما رسم لنا الأسلاف الاباة الطريق لننظر فيها، وما رشوها بدماءهم لنجيل العين فيها، وانما ليقولوا لنا سيروا خلفنا. واتبعوا آثارنا حتى يتحقق الوعد الحق الالهي بالمنة على المستضعفين بدولة كريمة يطبق فيها حكم الله، وتقام عليها شرائع الكتاب.

يالله لك يانفس كم أنت ضعيفة هيا انظري وراء هذه الأسراب البيضاء من الحمائم البديعة التي تعانق الفضاء انطلاقا وانشراحا، تنسمي هذا العبير الالهي الذي راح ينعش هذه الأجواء التي ملأها الدخان الخانق، انه دخان الضلال، وانها نسمات الشريعة المحمدية تريد تبديد هذه الكثافات الجاهلية، تعالي تنشقي معي أريج الرفض لتري كم هو منعش للصدور، مبهج للنفوس، لا تنظري بتوجس الى الباب، ولا تسمري سمعك فيه ان عاد أحمد وان لم يعد فانه الى الخير لا غير، ان عاد فالى العمل الزكي المرضي، وان لم يعد فالى الجنة والمقام العلي، فما عليك في كلا الحالين الا السير على خطاه والاهتداء بهداه، هوني عليك، وخففي من روعك، بل أزيحي عن صدرك هذه الأثقال الباهضة التي جثمت عليه، أثقال الخوف والحيرة.

اوبي الى فراشك فعما قليل يسفر الصبح فاما مقرونا ببسمة زوجك الظافر العائد واما مشفوعا بها تنطلق اليك من خلال القضبان ومن وراء الأسوار.

نامي فهذا الصبح يسعى رويدا يخترق أحشاء الليل الذي لم تبق منه الا ثمالة فتذوقي فيها طعم الكرى، ولا تبقي مسهدة لتثقلي كاهلك المتعب بعناء الهموم ووطأة السهاد .

هدأت صيحات السأم، وسكنت أجراس الالم، وذهب عني الاضطراب، وجرى الدم في عروقي، بعد ما تصورته قد تجمد فيها، وها أنا تقودني رجلاي الى فراشي بعد ان قضيت سحابة الليل رهن أفكاري، ومخاوفي وتأملاتي عسى ان ينعشني الوسن بأحضانه الناعمة فأنجو من تلك التباريح الممضة، وها هو ينقل خطاه الوادعة الهادئة نحوي يهش لي فأهش له. وأجدني أقع في أسره الحبيب رويدا رويدا .

لم أستيقظ الا والفجر قد راح يلح على ما تبقى من فلول الليل يكسحه بتباشير أنواره، وانه لينشر سناه على الأرجاء فيهتك أستار الدجى لكنه لم يهتك ستر ظلمة واحدة لم يطلع عليها صبح الحقيقة فينيرها لي لأبصر ما عجزت عن أن أراه بعين قلبي ومشاعري، انه مصير أحمد فهو لم يعد حتى هذه الساعة، ولقد جاهدت نفسي وغالبتها مع اطلالة هذا اليوم الجديد على أن لا تعود الى ما كانت عليه بالأمس مع الحيرة والفزع، قبل أن اريها عِبر التاريخ الغابر دروس الحياة المتمادية، وأقوم على نشاط وافر لاسبغ الوضوء، واصلي لربي خاشعة متضرعة أجد للآيات التي أتلوها حلاوة لم أعهدها، وللحركات التي أقوم بها معنى غير الذي كنت احس به من قبل، ولم يخطر في بالي قط، ولست أنسى كيف اني أحسست عند الركوع والسجود كأن هاتفا يناديني من أعماقي قائلا:

من ركع لله لا يركع للمحن والبلايا، ومن سجد لربه لا يسجد لسواه من طواغيت البشر.

وحين أتممت هذه الصلاة الجديدة التي صليتها بمعانيها الحقيقية انتقلت الى الدعاء، وها أنا أجد جمال الصبح الباسم الودود يغمر الأنحاء من حولي، وعذوبة الدعاء الخاشع وسحره

تفوقان عذوبة ذلك الجمال في نفسي ومشاعري، وأراني قد سرحت في عوالم النور البهية وأنا اردد دعاء الصباح لامير المؤمنين:

(يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه، وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه...) حتى لقد أحسست اني قد تحولت الى نسمة من هذه النسمات العليلة التي تسرح في الفضاء وتمرح في الجو، فلم أعد تلك الرمة الهلوعة تتغشى أبراد الهموم، وجلابيب الأحزان، ولا أدري كيف خلوت الى نفسي بعد ذلك لاسألها عن معنى هذه الكلمات (مجاهد مجاهدة، مجاهدات) ولا أدري كيف جاء الجواب سريعا كلمح البصر:(جاهدت بذلت جهدها على طريق الحق لاقامة معالم الهدى وحين شدت أواصر جهدها بجهود أمثالها من اخواتها المباركات فقد دخلت جماعة ميمونة من النساء يقال لهن (مجاهدات).

ما أعذب هذه الكلمة وما أروع هذا الوسام وما أحلى هذا الاسم، أتراني أكون أهلا لان أحمله وأن أضع شارته الرفيعة على صدري بعد ان أحمل أعباءه وأثقاله، واؤدي حقوقه وواجباته؟

عسى الله ان يوفقني الى دوام البذل في جنب هذا الايمان بيقين وثبات، والمجاهدة على الآلام العذبة على طريق الرشاد فلا أزيغ عن الحق، ولا أشط عن الصواب، ولا يسلك بي الهوى المسالك الوعرة، والدروب الشائكة.

عسى الله ان يديم هذه اليقظة التي راحت تعم قلوب شبابنا الذين بدأ الفجر ينتفض بهم من تحت دثار الليل الداجي لينطلقوا بآمال عظيمة، وأهداف عالية، لم تقعد بهم في آمال الشباب العريضة، ولا أحلامه الوردية في هذه الدنيا التي تزينت بكل ما يغري من السفاسف، وطلعت بكل ما ذهب باللب من البهارج، هاهم يذهبون بها قبل أن تذهب بهم، ويكبونها لوجهها قبل ان تكبهم لوجوههم، لقد أبصروا طريقهم بناظرة قلوبهم الواعية مليئا بصور التضحيات والبطولات من أسلافهم الميامين، فوجدوا لزاما عليهم أن يديموا ذلك المسير، وأن يجددوا تلك الصور، وأن يعيدوا تلك الملاحم والتضحيات، أليس هذا هو أحمد زوجي العزيز

الذي لم يمضي على زواجي به شهور قليلة لم يثنه جديد عهده بالزواج، ولا مشاغل الزوجة الشابة، ولا شأن الحياة الطارفة، عن سعيه وجهاده وبذله لربه ودينه، فلم يفتأ يطوي المسافات، ويقتحم العقبات، ويجوس خلال المخاطر. داعيا الى ربه، هاديا الى طريقه القويم، مبينا زيف هذه الالهة الجديدة، والمبادئ الوافدة، والضلالات الواردة.

وتنعشني نسائم الراحة من هذه التأملات، فيخفق قلبي جذلا، وتطير نفسي غبطة وانتعاشا، وهاهي الشمس ترتفع رويدا رويدا في الأُفق، والحركة تدب شيئا فشيئا في الأحياء، وما هي الا لحظات من السكون حتى قطعها على صوت الجرس يرن في سمعي له وقع على قلبي واذني غير ما لفته من ذي قبل، فهو طورا يتمثل لي كشدو الهزار، وأُخرى كدوي الرعد، وانهض واجفة القلب، متهيبة، لانقل خطاي نحو الباب، تترأى لي وراءه صورتان، صورة ضاحكة مؤنسة، صورة الزوج العائد، وباكية متجهمة، صورة من يخبرني باعتقاله، او ما يسمى برجال الأمن ليبحثوا في بيته عما يخيفهم، وما أسرع ما انطلق صوتي من الطارق؟

ويأتيني الجواب:

انا أحمد، وعجلان ما أفتح الباب ليدخل أحمد مسرعا قد علا وجهه الاهتمام، وبدا عليه إنه يفكر في أمر ذي بال، ويلقي عليّ تحية الاسلام، ونظرة عهدتها منه هي نظرة المودة والوفاء، ثم يمضي داخل البيت فأتبعه على حيرة في أمره، وحب كبير لاستطلاع مكنونه، ومعرفة ما جرى في غيابه.

جلس أحمد وجلست قبالته يلفنا الصمت الخاشع المترقب حتى قطعه هو بسؤاله:

_لعلك قلقت البارحة لغيابي وأحسبك لم تهجعي طول الليل، وأجبته باسمة:

لماذا لقد نمت نوما هنيئا، ولقد كانت أفضل ليلة في حياتي إنها ليلة العقل والشعور، ليلة التأسي والاعتبار، لقد عرفت فيها نفسي وطريقي وموضعي في حياتي، لقد كانت ليلة طيبة مباركة وكان مغيبك فيها لطفا ورحمة.

_الحمد لله لقد كان غير الذي احتملته، وإن كنت مطمئن القلب الى حقيقة إيمانك وصبرك وثباتك هذا يعني انك توقعت انني غدوت رهن القضبان، وان ألسنة الجلادين وأيديهم قد تعاورت عليّ بالأذى والعذاب، ما أروع هذا إنك لا تتوقعين لي الا المفاخر والمحامد التي لا أظنني أهلا لها فتلك من شؤون المقربين، ثم راح يقصّ عليّ ما جرى له في غيابه فقال:

لقد أُعتقل البارحة ثلاثة من اخوتنا المجاهدين الأبرار، وقد قضيت معظم الليل أدور على بيوت من أعرفهم أُنبههم الى الخطر المحدق ليكونوا على بيّنة من أمرهم، أمضيت بقية ليلتي في بيت أحدهم وأتيت مبكرا لأرفع عنك عناء ما توهمتي من قلقك واضطرابك وحيرتك، ولألقي على مسمعك وصيتي فانني أتوقع ان يأتي دوري قريبا لأصل الى ذلك المستوى الذي تتوقعينه لي، بل تنشدينه لي، وتتمنين أن أبلغه، وهو أن يطاردني الطاغوت لأنني أُكدر صفوه، وأقض مضجعه، وأسد عليه بعض الطريق الى مآربه اللئيمة، وامنعه ما أُوتيت من قدرة على أن ينشر حبائل المكر والخداع، ويجثم على امتنا المقهورة بليل الجاهلية الجديدة، وينيخ عليها بأثقال الشقاوة والحرمان.

لقد صرت أرتقب ساعة أُدعى فيها الى تلك الاطواق والأسوار ولعل الحيلة والاحتياط اللازمين لا يسعفانني فلا أستطيع الا أن أجيب، ولقد وجدت لزاما علىّ ان أوصيك فها أنا ذا القي عليك وصيتي فاحفظيها راغبا اليك في الدعاء لي أن يوفقني ربي للخدمة والعمل لدينه، وأن يكتبني في الشهداء السعداء الذين صدقوا فيما عاهدوه عليه ولم يخلفوا عهودهم، ولم يخونوا أماناتهم، واعني بها أدوارهم في الحياة، ومهماتهم في الدفاع عن رسالتهم وعقيدتهم.

وهنا خشع قلبي، وابتدرت الدموع في عيني فعالجتهما على ان لا تفيض حتى لا يرى زوجه أمامه دامعة العين فتصغر في نفسه، فلا يراها بعد ذلك أهلا أن تشاركه همومه وآلامه، ولا أن تكون أمينا على وصيته وأمانته .

لقد أخذت مني كلمة الوصية مأخذا كبيرا فلها معنى يشبه معنى الموت والفراق الأبدي، وان كانت ليست مقرونة به دائما فالمؤمن مرغوب اليه بالوصية ولو لم يجد بوادر مفارقة

الدينا، ولا أنس أن دموعي قد سالت فكففتها، فرقّ هو لها ولم أجد عنده ما توقعته من اساءة الظن بعزمي وصلابتي واحتمالي، وما هي الا لحظات نازعت فيها نفسي على العودة الى الهدوء والسكينة، حتى عادت هادئة ناعمة راضية وانشأت أقول:

_يحق لي الآن ان أفتخر وأُباهي بك، وان أقول صادقة انك تسير على خطى الصالحين الذين سبقوك على الدرب وقد اختاروا الا يقارّوا على الضيم، ولا يسكتوا على الباطل، والا يصبروا على انتهاك حرمات الرسالة.

وتبسم أحمد ضاحكا وهو يهم بالكلام فأرهفت سمعي اللهفان اليه، ووجهت وجه القلب نحوه، ثم صمت لساني صمت الأموات، وجمدت أركاني جمود الحجر، خشوعا للموقف وإعظاما له، كأن على رأسي الطير أنتظر الوصية وتكلم أحمد فقال :

تعلمين اننا الان نخوض حربا ضروسا حامية الوطيس على الباطل وشياطينه، وقد جاءوا بكل سلاح، وأقبلوا علينا بكل حيلة، ونشروا علينا أحابيلهم وشراكهم، ونحن بأيد عزلاء، وقولي جذاء، لا تملك غير قوة الايمان، وعزم اليقين، واقتدار الروح الرسالية الوثابة، نبذل غاية جهدنا، وأقصى ما في وسعنا لدرء هذا التيار الجارف الذي ابتدر شموخ حضارتنا، وإشراق مبدئنا بالطمس والمسخ والتشويه والتضييع، ليقيم مكانهما معالم حضارة شوهاء، وليل جاهلية خرقاء، ولقد كنت ايتها المرأة أول مقصود بالمكر والخديعة، وكنت أول مطلوب بسطوة الباطل حيث يري فيك اذا استطاع أن يغيرك عن دينك، وأنت السند المهم في حمايته والذب عنه، ويجرك الى ضلاله، وأنت اليد المقتدرة التي تذوده وترده، يرى فيك رأس الحربة في كيده، ولقد قالت الصهيونية من قبل:

انها ستجعلك السلاح الذي تشهره في وجوه أعدائها، والسبيل التي تستطيع منها أن تبسط نفوذها على العالم، فجاءتك بمزخرف القول، ومعسول الكلام، والمساواة،والتحرر، والتقدم، ونبذ الأغلال والقيود (اي الانفلات) كما ينفلت عمود الخيمة فتتقوض، وكما ينفلت قطب الرحى فلا تدور، ولعلك تذكرين حين ذهبت رفيقات الجهاد الى بيت رائدنا الصدر تنهلن من نبعه وتستضئن بأنوار إرشاده، تذكرين ما قاله وانه نبهكن الى حقيقة الطمع عند

أهل الباطل في إغواء المرأة، وإحتواءها ليكون ذلك الطريق الميسر الى إغواء المجتمع وإضلاله وانهم قد

قالوا لفتياتنا المؤمنات: ان الانسانة التقدمية هي التي تنزع عنها أغلال الدين، وتسير متحررة من قيوده.

ولقد قاومت إبنة الإيمان وجاهدت فلم تخدع، وانطلقت تقفو خطا خديجة، وفاطمة، وزينب، والثائرات من بعدهن على هداهن.

ان طريق الحق هو طريق الأنبياء، وطريق الأولياء وطريق الصالحين، وبكلمة واحدة طريق الاباة الذين يأبون الا الله وحكمه، ويأبون الآلهة المزيفة والضلالات الخادعة، اولئك الذين أدمى أرجلهم حر الرمضاء سعيا الى نصرة الحق، واكتوت قلوبهم من أقوامهم بسعير الصدود والاعراض والمعاداة والبغي، وتحملوا للحقيقة كل فنون الأذى لا يحتويها الخيال، ولا يبلغ حقيقتها غاية جهد الفطنة، ما ان مثله ما يقول عنه المصطفى (ما اؤذي نبي قط مثل ما اؤذيت) ويقول عن بعضه وهو مسيره الى الطائف وعودته منها بالحسرة (ما كنت أرفع قدما ولا أضعها الا على حجر)، ولكنهم ازاء ذلك كله صابرون مرابطون اذا ألم بأحدهم كيد الكائدين وبغي الظالمين صوب نظره الى بارئه ليقول له خاشعا متضرعا:

(ان لم يكن بك عليّ غضب فلا ُابالي).

إنها سبيل الله فإن كنت تريدين سبيله فلا تحيدي عنها مهما حفت بها الصعاب، ومهما اكتنفتها من الهموم والأتعاب .

إنها وسام المؤمن وشرفه في دنياه ومنزلته ودرجته في اُخراه .

عليك بطريق الجهاد فلا تنكصي عن سلوكه، وعليك بسالكيه فلا تدخري وسعا في عونهم ومساندتهم والبذل لهم .

لا تبخلي عن شؤونك الجهادية الرفيعة وسعيك في الصلاح والتعبيرعلى قدر وسعك وجهدك في صلاح بنات جيلك واخراجهن من عمى الضلالة وعنائها، الى رشد الهدى

وهنائه، فلقد عملت من ذلك الكثير المرضي، واهتدت بنور توجيهك كثير من اللاتي اعتكرت عليهن ليالي الضياع .

عليك بقراءة القرآن، وتدبر معانيه والوقوف عند آياته، والاستماع لمواعظ الله فيه، والتفهم لوصاياه ونصائحه لعباده المجاهدين والتأسي بمواقف الصالحين في قصصه، والتزود من عزائم الثائرين على ضلالات الحياة فيما يعرضه على أبناء الخلف الثائر من حماسة الجهاد عند أسلافهم العظام، والنظر الدائب في العاقبتين اللتين يرسمهما في أمثاله الشافية لصولة الحق، ودولة الباطل، تلك في الفوز والفلاح، وهذه في الاضمحلال والخمود، وتلك هي سنة الله:

(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً).

أكثري الوقوف عند آيات النعيم لتري انما يرجوه الراجون من نعيم الدنيا ليس الا غرورا باطلا ازاء حقيقة النعيم في الآخرة، فتنأى عن نفسك الرغبة في نعيم دنيوى يصد عن الحق أو يصرف عن الجهاد، أو يؤدي الى الباطل، وأطيلي المكث عند آيات العذاب لتبصري منها أن عذاب الحياة وأتعابها، وعناء الجهاد وآلامه ليس الا هباءة في الفضاء المتمادي إزاء عذاب الخلد والعناء المقيم يوم القيامة، ولتبصري فيه هول ما سيلاقية هؤلاء المجرمون في أُخراهم نكالا ووبالا، مقابل عظيم ما سوف يلقاه المؤمنون الصابرون أجرا وجزاء، لتري جسيم الفرق بين نعيم اولئك في دنياهم، وهؤلاء في اخراهم، وعناء هؤلاء في عاجلتهم واولئك في آجلتهم.

فإذا نظرت مليا في هذا رأيت المؤمن في راحة دائمة كأن لم يذق في الدنيا وصبا ولا نصبا، ورأيت عدوه الأثيم في محنة كأن لم يذق في دنياه لذة، ولم يجد فيها راحة، ولتجدي بعد ذلك ان عذاب الطغاة يريدون به صرف المؤمن عن عقيدته وجهاده ليس شيئا ازاء عذاب الله وعذاب الضمير اذا هو أطاعهم فيما شهد، وان من المؤمنين رجالا ونساء يستعذبون العذاب المر في الله ويروقهم العناء الممض المجهد له، ويأنسون في الخطوب على سبيله، واولئك الصادقون الذين عرفوا الله حق معرفته، وقدروه حق قدره، ووعوا دينه خير الوعي

وتفهموه أحسن التفهم، فبايعوه وعاهدوه على الطاعة والولاء والمجاهدة والثبات، فاستبشروا ببيعهم، وصانوا عهدهم وحفظوا أمانتهم، حتى انقلبوا اليه يجزيهم أحسن الجزاء، ويوفيهم أُجورهم بغير حساب.

لا تلبسي ثياب السواد حزنا عليّ، ولا تريقي دمعك من أجلي فيشمت العدو، ويألم الصديق، ولا تظهري أمام أمثالك بلون من ألوان اللوعة والأسى لفراقي فيستعظمن فراق الأحبة، بل كوني لهن قدوة في الصمود، وأسوة في الصبر والاحتساب، رددي دائما قوله تعالى:

(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّـهِمْ يُرْزَقُونَ).

لا تنسيني من دعاءك لي بالصمود في لهوات العذاب حتى لا أوذي أحدا من المؤمنين، ولا أسبب له مكروها يحذره، ولا أسجل على نفسي ما يريد الطاغوت أن يسجله عليّ ويعاقبني له، ولا أكشف من شؤون عملنا المبارك، ولا عن رفاق الجهاد شيئا يفيد الظالمين وينفعهم.

وتطرق الباب فتنقطع الوصية.

لقد كان صمتا قليلا ثقيلا بعد أن طُرقت الباب، خامرت عقلي فيه فكرة واحدة، وأناخت فيه على قلبي أثقال الخوف من أن يكون الجلادون قد جاءوا ليعتقلوا أحمد الذي راح يدلي بوصيته كأنه معهم على موعد فيتركوا بيتي ووجودي خاليين من وجوده، ويقطع أحمد الصمت بقوله مبتسما:

لا تخافي انه أحد رفاق الدرب، واجيبه بهمس خائف:

وما يدريك؟

هكذا يحدثني قلبي، وهكذا أظن ممارأراه من شأن الجناة في إرتكاب جناياتهم، فهم لصوص الليل، وسراق الأمن والسكينة في أحوج ما يكون الانسان اليهما، حيث تريد الأبدان أن تسكن، والعيون أن تغفو، والقلوب أن تنصرف قليلا عن هموم الحياة ومشاغلها.

حسنا سأرى من الطارق

ويصدق حديث القلب. فيكون الظن صحيحا، فالطارق كما رأى أحمد رفيق له في جهاده جاءه في شأن من شؤونه...

انها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وانها ليلة الخميس سنة الف وتسعمائة وواحد وثمانون، وإنه فصل الصيف حيث يشتد الحر في بغداد. فكانت الأرض تتوقد، وكان الجو يلتهب، حيث تصطلي الأبدان، وتتبرم النفوس، كنا تلك الليلة قد علونا سطح الدار نلتمس الهواء العلي المبرأ من شائبات الهواء الأسفل داخل الدار حيث نطفئ الأضواء فيبدو البيت وكأنه قد خلا من ساكنيه، عسى أن يظن لصوص الأمن اذا جاؤنا انّا قد فارقنا البيت في سفر أوضيافة، ولست أدري لماذا كانت أفكاري تلك الليلة لا تهدأ، ومشاعر الخوف والقلق عندي قائمة على ساقها، فبقيت مسهدة ساهرة لا يغمض لي جفن، ولا تذوق لي عين طعم الرقاد، وأحمد على مقربة مني قد غفا أو كاد، بعد أن قضى بعض وقته يتحدث معي في حديث واحد متشابه متصل، كنا قد بدأناه منذ أيام خلت، إنه عن المعتقلين والشهداء، وعن عوائلهم، ومن الذي يكفل هذه الاسر الكريمة شؤون عيشها، ويدير أمورها، بعد أن غاب عنها حماتها وكافلوها، ولم يغب عن بالنا ان لهذه الاسر ربا يرعاها، واناسا اخيارا أبرارا شأنهم الخير، ودأبهم الرحمة، وعاداتهم البذل والعطاءوالجود حتى بأنفسهم.

ثم كان العزم الصادق على أن نكون من اولئك الاُناس الطيبين الذين يتحسسون آلام اخوتهم، ويبذلون لهم، ويسعون في حاجاتهم ويرفعون الضائقة عنهم.

أليس المؤمنون كالجسد الواحد؟

أليس المؤمنون اخوة؟،

اليس أقل حقوق المؤمن على أخيه أن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره ما يكره لها؟

اذن لا اكتحلت عين بالغمض الى جنبها عيون يسهدها العناء، ولا سكنت نفس وادعة وثمة نفوس تكتوي بحر الحيرة والحاجة، وتعسا لمن أنسته النعمة فاقة المحتاجين، والهته السلامة عن شؤون أهل المحنة.

وتطرق الباب طرقا عنيفا حكى لي منه وجيب قلبي حقيقة الطارق، وأرتعدت أطرافي، وشبت نار الحيرة في نفسي، فماالذي نصنع في هذا الليل البهيم، وفي هذه الساعة المتأخرة منه، وقد جاءنا سراق الأمن والطمأنينة، عبيد الشيطان، وأعداء الله ليكدروا صفونا، ويملأوا قلوبنا بالغموم والأتراح، ويفرقوا شملنا وكأنهم لم يصنعوا شيئا، بل يرون ذلك افتخارا وانتصارا ومكسبا كبيرا وهذا هو ما يسمونه بحماية مصالح الشعب، والدفاع عن مكتسباته، والحفاظ على وحدته واستقراره، وهذه هي خدمتهم للوطن، وهذه هو كل ما رأت منهم الامة من أول يوم أناخوا فيه على ظهرها الأثقال بالأتعاب، وحتى هذه الساعة حيث السنين الثقيلة الخانقة كأنها قرون متمادية.

الباب يتواصل طرقها وأحمد في غفوته، وقد تلبثت قليلا لا أحرك ساكنا، ولا افكر في أن اوقظ أحد عسى أن ييأس المجرمون حيث لا يرون في البيت ضياء، ولا يسمعون صوتا، ولا يجدون مجيبا، فينصرفون خائبين، ولكني سمعت أحدهم يقول لصاحبه:

انهم هنا ولعلهم فوق سطح الدار وقد اطفأوا الأضواء إيهاما وتضليلا، وسنضطر الى اقتحام الدار مهما كلف الامر.

عندها وجدتني أمد يدي الى أحمد أهزه هزا لاوقظه، وهمست في اذنه:

لقد جاءوا يا أحمد فهيا نتدبر الامر .

ويستيقظ على النبأ، وكأنه لم يأخذ منه مأخذه فجلس رابط الجأش، صلب العزيمة، فقام من مكانه يريد النزول الى طالبيه ليفتح لهم الباب، وغلبتني الدهشة، وعمني الإضطراب فامسكت به قائلة:

ماذا تريد أن تفعل؟

اريد الذهاب اليهم.

كيف تفكر في ذلك؟ ألست تعلم إنك اذا ذهبت اليهم فسيكون مآلك الى إحدى ثلاث، إما القتل، وإما السجن، وإما أن تعود الينا بعاهة.

كل ذلك هين ياهدى وهو عندي أهون من أن أظل هنا واقفا أنتظر هؤلاء الأنذال حتى يكسروا الباب، او يتسوروا الدار من كل صوب، فيكدروا صفو الناس، وهو كذلك أيسر من ان أتسور بيوت الناس فاسبب لهم ما الله يعلم من الأمر بهتك أستارهم، والدخول عليهم من حيث لم يحتسبوا، إنه امر تأباه أخلاقي، ولو أدى العمل به الى ان أخسر حياتي، فنحن إنما جاهدنا وأنصبنا أنفسنا وعرضناها للمحن والمخاطر لنعيد للناس أمنهم وقرارهم، ونرد عليهم راحتهم ودعتهم المغْتَصَبين، ونصون لهم بأحكام الشريعة السمحاء حقوقهم المهتضمة، ومصالحهم المعدومة، وكرامتهم المضيعة.

كلا لن أتسلق جدران البيوت الآمنة، أتدرين كم هو عزيز عليّ أن أعلو سطح أحد المنازل فتقوم في وجهي امرأة صارخة نادبة، وقد حسبتني لصا أو طالب فحشاء قد جئتها بالمكروه الكبير الذي لم تكن تتوقعه، وفي أحب الساعات اليها؟

حسنا يا أحمد اذن ابق أنت مكانك ودعني أذهب اليهم واخبرهم إنك خارج البيت في شأن من شؤونك.

وبهت أحمد ثم قال:

ماذا تقولين ياهدى؟ الا تعلمين ان أيسر شيئ عند هؤلاء الأرجاس أن يعتقلوك رهينة اذا لم يعثروا عليّ لتوقعهم أن ذلك سيضطرني الى أن اسلم نفسي سترا لعرضي، وحفاظا على شرفي، ولقد فعلوا من ذلك الكثير، انهم كثيرا ما يأخذون أزواج المطلوبين اليهم يجعلون منهن سلعة يساومونهم بهن على الاعتراف والبوح بما لديهم، وأنت تعلمين ان المرء يفضل الموت ألف مرة على أن يرى عرضه يهتك أمامه، وذلك أكبر إحراج للمجاهدين، وأشد عذاب عليهم، فإبقي مكانك ياهدى حتى أنزل فأذهب معهم، ثم كوني على حذر فقد يعودون

اليوم أو بعده لإعتقالك لذلك الامر الآنف، وداعا ياهدى أرجو أن تكون وصيتي محفوظة في قلبك، معززة مكرمة بعملك، ظاهرة في سعيك وسلوكك.

وداعا ياهدى الى الملتقى في هذه الدنيا بعد الفرج بالفتح المبين، وإنتصار الاسلام الظافر، او في الدار الاخرة بابراد الشهادة.

وان هي الا لحظات كأنما غشيت عيني عن الرؤية حتىذهب منصرفا الى قاصديه، وسمعت الباب تفتح ثم يدخل الباغون الى البيت يعبثون باغراضه، ويفتشون عن مصحف او كتاب دعاء او كتاب هدى، الا انهم لم يجدوا شيئا من هذا فقد كان أحمد حذرا منهم، ويعرف ماذا يريدون اذا دخلوا الى البيوت، فقد اخفى كل ما لديه من كتب، ولم يبق اي شيئ يحاسب عليه، وعندما لم يجدوا شيئا انطلقوا به غانمين موفورين لانهم حصلوا على طريدتهم التي يبغون صيدها، ثم تنطلق سيارتهم على عجل، هنالك اغرورقت عيناي بالدموع، وبكيت مليا، وظننتها حالة من الضعف وعدم الالتزام بالوصية، ولكنني فسرتها لأهوّن على نفسي هذا الضعف وهذه المخالفة بانها دموع الرحمة والعطف، وانه البر والاشفاق.

ورحت أذرع ساحة الدار، فوجدت في أثناء شرودي الذهني ورقة قد سقطت ولعلها من يد أحمد الذي كان يهم أن يخفيها وقد كتب بتلك الورقة أبيات من الشعر للداعية السيد الدكتور داود العطار:

جهادا الى ان يرجع الوضع مسلما

وإلا فلا عرض يصان ولا حمى

أبا الكفر والإلحاد والعهر والخنا

نحاول إصلاحا ونرجو تقدما

رضينا بفكر الغرب والشرق شرعة

فصرنا لكفر الغرب والشرق مغنما

أطعناهم في كل ما دبّروا لنا

وجُدنا لهم بالبر والبحر والسما

فكان وفاء الغرب هدم كياننا

وتقتيلنا ظلما وإغراقنا دما

ولم يكتف الغرب اللدود بما جنى

على الدين حتى كاد أن يتهدما

فراح يزق الكفر والغي زمرة

تطبق ما يبغي ويأمر كالدمى

تسابقه تدمى الخدود اذا بكى

وتملأ شدقيها اذا ما تبسما

وما كان رب العرش يرضي بشرعة

سوى شرعة الدين الحنيف لتحكما

وليس من الاسلام تحكيم كافر

وما مسلم مَن للطواغيت أسلما

وكان جزاء الشرق تشجيع زمرة

لتنحر قديسا وتنصر مجرما

لها أُذن صماء لا تسمع الهدى

وعين عن الأيات يحجبها العمى

إذا كان دأب الغرب والشرق حربنا

فما بالنا لا نأخذ الحق منهما

وحتى متى نبقي نسالم كافراً

وما هو جدوى أن ننوح ونلطما

اذا كان سلما أن نعيش أذلة

فإنا نرى موت الكرامة أسلما

وإذا كان حربا أن تصان حقوقنا

فما أروع الهيجا وما أبخس الدما

لنحرز إحدى الحسنيين شهادة

نسود بها أو أن نسود ونحكما

اخذوك يا أحمد وانا راغمة كارهة، لا حيلة لي على رد العادية عنك، ولا صد الأذى عن ساحتك، ولا خلاصك من مخالب الجناة التي انشبت فيك.

قبل قليل كنت معي لان شأن حياتنا وسنة الله شاءت ان أكون معك وتكون معي، كنت عمادا لحياتي، وظلا ظليلا فيها، وكنت لك كما تريد سكنا يؤنسك، ويسري عنك، ويذهب بكثير من همومك. لقد رجونا أن يدوم هذا الانس، ولكن أعداء هذه الامة واجراء الأسياد من العفالقة لا يعرفون معنى لراحة الناس والفتهم وسكينتهم، واولئك الذين لا يجدون فيهم لونا من الإباء عن الخضوع والركون والاستسلام، وأنكى من هؤلاء اولئك الذين يلفون لديهم روح الثورة على الواقع الفاسد استبداله بواقع اسلامي كريم.

انه الفجر يقترب وها هو يطلع بوجهه الوضاء على الأرجاء، فيمسح عن صفحتها الناعمة الوادعة غبش الليل وسباته، وانها الآن لساعة من أحب الساعات الى الله يحب فيها ان يعبد عبادة القلب المتصعد، والشعور النافذ، والحس المتوجه، والعقل السليم من داء الدنيا وهمها.

وأنها (صلاة الليل) معين المحبة وينبوعها، يرده العاشقون ضامئين فيصدرون عنه قد بردت غلاتهم. وانطفأت نار الصدى في احشائهم، فلا صلي نافلة الليل التي هي أشد وطئا وأعظم قيلا، ثم ان لي في امور دنياي القادمة شأنا كبيرا، وسبحا طويلا، وقد رأيت من بوادر ما سيأتي به الغد من آلامه وهمومه ما فُتح علينا في هذه الليلة التي أرجو ان تكون بداية لمنعطف خطير.

صليت هذه الصلاة العاشقة ثم أعقبتها بصلاة الفجر ثم دعاءه ثم تناولت حقيبة ملابسي، لاغادر المنزل مغادرة لا أدري أيطول امدها أم يقصر، وحتى أطمئن أن الجلادين لن يأتوا لاعتقالي، وسوف أتخذ الحيطة البالغة في ذلك فلا أريد أن أكون لهم يدا أو ظهيرا على زوجي، ولا أكون ثقلا باهظا على صدره مع أثقال العناء في لهوات العذاب لهؤلاء المجرمين.

سأغيب عن بيتي ومستقري كما غاب زوجي، فكذا شاء الطغاة الا يقر قرارنا، ولا نذوق طعم الراحة، سأغيب عنه على رغمي متربصة ما تجيئ به الايام.

وأشرقت شمس اليوم الجديد، وها أنا أراها وكأن شيئا يغطي وجهها المنير، وكأن شعاعها يتقلص عن أمتداده، فلا أحس بنوره وحرارته، لماذا أحس كأن الشمس قد شحب لونها، وبانت لي كوجه محتظر يحوم حوله شبح الموت لما ترسله في النفس بإشراقها من بهجة ومتعة، وبما تتحدث به مع القلب من أحاديثها الانيسة.

أليست شمس هذا اليوم الجديد هي شمسنا التي تشرق كل يوم فتبعث الدفء في الأجساد؟ والنشوة في النفوس؟ لماذا أحس كأن شيئا يأخذ بخناقي، ويمسك بتلابيبي، فيصعب علّى حتى أن أبلع ريقي، عيناي لا تكادان تبصران الطريق كما عهدتهما، وأطرافي ترتعد، وجوانحي تضطرب ودموعي تسيل، وأفكاري حزينة؟

هذا ما أحدثه ذهابك يا أحمد مع الزمرة الخائنة الأجيرة من أعداء شعبك الذين تشعبتهم الأهواء الساهية، وسلكت بهم الدنيا مسالكها الخادعة.

لقد أخذوك على مرأى مني ومسمعا الى طوامير العناء، وأطباق البلاء، أنت بين أيدي الجلادين تتقاذفك ضرباتهم، وتتعاور عليك أفانين عذابهم، ارضى لله وأقرب اليه في أي موضع سواه فهو انما يحب عبده اذا ابتلاه فصبر على بلائة، وامتحن صدق الايمان عنده فنجح في الامتحان، وكم هو الفرق بين الميتتين، ميتة على الفراش، وميتة على أيدي الكفرة، وهي مبتغى الراجين، وأمل الاملين، ووسام المكرمين، ثم اقبال على الرب بجبين ملطخ بالدماء، وأوصال ممزقة، عندها تخلو صحيفة الأعمال من السيئات، وتذهب نقيا سليما، قد برئت من الآثام والخطايا.

لا تلمني يا أحمد اذا ما اعترفت لك على هذه المذكرة إنني قد تأثرت كثيرا، لكنني كنت ابرر حزني الكبير بحزن رسول الله وبكائة على ولده ابراهيم المنقلب الى ربه رحمة وحنانا، وقوله حينئذ:

(ان العين لتدمع، وان القلب ليخشع).

نعم لا أنكر انني حزنت وبكيت حتى احمرت عيناي، وشرقت بدموعي وما طرق الوسن لي بابا، وما حط طائره على جفني. فإنها المرة الاولى التي افقدك فيها، وتفرق الظروف القاهرة ما بيننا منذ ان إقترنا على ناموس الكون، وسنة الحياة الجارية ورضوان الله، واجتمعنا في بيت واحد ننشد ان نعمر الارض على قدر طاقتنا آملين ان يرزقنا النسمة التي تثقل الارض بلا اله الا الله، ونصبح الابوين الصالحين اللذين ارادهما الرسول وحبذ على اجتماعهما، وليصبحا البلد الطيب الذي يخرج نباته بأذن ربه.

اتدري ما اول شيئ ترائى لي وهم يذهبون بك؟ رأيتك بواعية قلبي لا بناظرة عيني، يحوطك جمعهم وهم مدججون بالسلاح، فشدوا عينيك ووضعوا الاغلال في يديك يخافون بأسك وهم يعلمون انك أعزل الآ من الايمان، ومن كتاب مقدس صغير تحمله في جيبك اسمه القرآن، ثم أركبوك سيارتهم يتضاحكون غانمين وافرين كأنهم غنموا المكسب الكبير، واي مكسب لو أنهم تمعنوا في أمرهم قليلا، إنهم يحفرون قبور الابرياء بأيديهم ويدفنونهم فيها فكأنهم يحفرونها لانفسهم انهم يسجرون النار التي سوف تأكلهم ويحملون السياط التي سوف تلهب ظهورهم.

الا يسألون انفسهم المريضة لماذا يذهبون بك في هذا الليل وقد تغشى الناس أبراد الامن والسكينة؟ لماذا يخلعون قلوب الوالدات من صدورهن بأخذهم أبناءهن الصالحين البارين

وفلذات أكبادهن المتقين من بين أيديهن فلا خبر يأتي ولا دليل يدل على مصيرهم، لماذا يطاردون الانسان النزيه بدون جرم شرعي عقلائي، ما هي الجريمة التي ارتكبها أمثال أحمد أهو لص؟ أهو مخادع، أهو محتكر؟ أهوقاتل؟ لم يفعلون هذا أمن أجل عقيدة راسخة، ومعالم واضحة، وسنة قويمة، أم من أجل الشيطان يسوقهم الى المهالك فيتبعونه مهطعين طمعا بحطام العيش الدنئ المليء بالآثام والذنوب، ودريهمات هن لقاء بيع الشرف والكرامة، وتحطيم الاخلاق، والوجود الانساني الذي أُريد لهم ان يحيوا فيه؟

جئت الى دار ابي متخفية، خائفة من دخولي عليهم والعيون تتربص، والاذان تسترق، ولابد لي من مستشار في هذه الحالة.

دخلت لاودعهم ولاستشيرهم في بعض اموري.

لم تخف عن العيون المسهدة في سبيل مجد الطغاة خافية فقد اعلموا بدخولي الى بيت ابى، ولعلهم طاردوني منذ اللحظة التي خرجت بها من بيتي.

هربت من منزل والدي أتلفع جلباب هذه الأجواء المدلهمة الغاضبة، بعد ما داهمنا رجال الارهاب يطلبونني فتسورت بيت جارنا الكريم الطيب الذي كنت قد أخذت منه زوجه من قبل اذنا أن اهبط بيتهم متى ما همّ الجفاة همّ السوء وجاءوا لاعتقالي وبقيت ثمة حائرة مضطربة يمور بي القلق والخوف في تيار هادر وقضيت الليل وانا مسهدة لم تذق عيني طعم النوم حتى مطلع الفجر فجاءتني امي متخوفة متخفية لتتعرف أمري، وتعطيني عنوان احدى قريباتها في قرية من قرى البصرة، راغبة اليّ سرعة المغادرة الى تلك الديار النائية صيانة لنفس الجار ونفسي .

وجدتني بعدها اوجه وجهي الى حيث أرادت امي أن اهرب، تشيعني بالدموع ووصايا المحاذرة والاعتصام بحبل التخفي والاحتياط حتى لا اقع في ايد فجرة لم ير التاريخ لهم مثيلا.

خرجت خائفة اترقب تصاحبني الأفكار الثقيلة وتلازمني كظلي أشباح الرعب، تتمثل لي أحيانا أيد تمتد تهمّ ان تأخذ بتلابيبي، أو وجوها باسرة كريهة كأنها وجوه الوحوش الكاسرة مكشرة عن انيابها، هربت ولم أصحب معي مما أحتاجه الا بعض اللباس الذي رمته لي أُمي من بيتنا الى بيت جارنا بعد أن خافت أن يتكرر إيابها وذهابها عنه فيثير شيئا يلفت أنظار المتربصين .

ووصلت حيث أبتغي بعد سفر متعب ثقيل طمعا في البعد عن أنظار الطغاة، والنأي عن شرورهم، وقد أبيت أن أدخل القرية الا تحت غطاء الغروب متوجسة على ما تعودوا طارفا من الحيطة والحذر.

وجدتها في بعض شأنها قرب بيتها وحين رأتني هشت باسمة مرحبة واستقبلتني استقبال الوالدة لابنتها، قبلتني في وجنتي ونحري وكأنها على بينة. من أمري، وأدخلتني بيتا صغيرا من القصب لم أجد في تلك المرأة الصالحة شيئا ينفرني منها، أو يشككني فيها، أو يجعلني أكتم عنها شيئا وكانت حفاوتها بي وقيامها على خدمتي في تلك الامسية بدون كلل أو ملل.

لقد كان استقبالها لي مثيرا في نفسي شدني اليها شدا وثيقا، وقد جهدت نفسها على أن تقدم لي زادا لذيذا مثل ذلك الزاد الذي نصنعه نحن سكان المدن، ثم افترشنا معا فراشين بسيطين وألقينا جسدينا المكدودين عليهما، سمعتها بعد ذلك تتمتم بأورادا حفظتها عن ظهر قلب، ثم أسلمت نفسها للنوم.

وانسل سهم الفجر الى هذه البطاح رويدا رويدا، وراح يسري فيها ضياؤه الثاقب يمسح عن صفحتها اعتكار الليل وسواده .

جلست مضيفتي وكأن هناك من يوقظها في ذلك الوقت الذي يصيح بالناس انقضى عهد النوم فهيا الى الجد والعمل، وراحت تتوضأ ثم تغرق في صلاةخاشعة.

واستيقظت أنا الآخرى أحذو حذوها فأصلي صلاة الفجر أتبعه بالدعاء .

إنها ساعات لحياة جديدة ابدُؤها هاهنا في هذه القرية مع هذه المرأة واطفالها، وها أنا أحس وكأني طائر يتنقل بين السواقي، ويسبح في الفضاء، ويحط على الأغصان، ولكن سرعان ما يعاودني شبح الجناة الذين لا أظنهم يهدأون او يستقرون حتى يعثروا على ما يسمونه ضالتهم، او عدوهم الذي ينغص حياتهم، وعلى إي حال سابقى هنا وليس باليد حيلة الى الرجوع الى بيتي وإستقراري فأنا مطاردة من قبل المطرودين من رحمة الله، وأنا هاربة بديني وعقيدتي، وليس لي ذنب الا أنني أقول ربي الله، وعليّ التخفي الا أن يأذن الله لي.

مضيفتي تتكتم على أمري وحين سألها اولادها قالت لهم اني ابنة خالتهم، وقد جئت لزيارتهم لاستمتع بهواء القرية المنعش وجوها الصافي و خضرتها الممتعة.

لم تكن تستقبل أحدا في بيتها وإذا جاءها أحد أخفتني، وحاولت قدر الإمكان ان لايعرف أحد عن وجودي، ولو انني إبنة أختها كما ادعت.

وانقضى الصيف وتلاه الخريف وأنا في بيت شريفة.

هاهي السماء قد تلبدت بالسحب الكدراء. وقد انزاحت عنها اشراقة وجنتها الساحرة الفياضة بالنور، وظهر عليها انها تريد ان تفيض مما حل في احشائها من خير وبركة، وراح وميض البرق يشع في الأنحاء يخطف الأبصار بضيائه، وكأنه سيف تجرد من غمده لا معا صقيلا.

وقفت مضيفتي ترمي ببصرها في هذا الفضاء المترامي في هذه الربوع التي كانت تهلل لهذا الغيث الذي جاءها سخيا يجود بالخير، ويفوح بالعطاء، وهاهي الأرض تضحك وتهزج له بصوتها الدافئ الحنون، وتهز أعطافها وكأنها تمد يديه تريد أن تقبلهما قبلة الشكر والعرفان .

وبقينا نسمع لهذا الصوت الهائل الذي يصك الاذان، وكان بأس الريح يعبث بأصابع القصب الذي قام عليه هذا البيت الذي يظلل من تحته من هاجرة الحر، ويقيهم وطأة القر، ودنت من الموقد الذي صنعته داخل الكوخ تبحث عن جمرة كامنة تحت الرماد تنفخ فيها

علها تجود عليها بشرارة تهبها شعلة تصطلي بها، فعادت عليها الجمرة الجاثمة تحت الرماد بجذوة راحت تطعمها زادها من الحطب فأرسلت الينا الدفء أفواجا فانزاحت سورة البرد .

مضت شريفة تشارك الأرض شكرها وخضوعها لله سبحانه تشكره على هذه النعمة التي يهبها لعباده، حيث يرسلهم نطفا وينشدهم طورا بعد طور، ثم يخرجهم على خلق سوي يتدبرون ويعقلون، ثم ينشر عليهم ظلل الغمام رحمة وعافية.

وعلا وجه الليل واشتدت فحمته، وبدت صفحة الافق سوداء مدلهمة الا من لمعان البرق يخرقها كل حين كأنه صارم مسلول في نقع معركة حامية.

كنت واياها نجلس معا والأطفال قد رقدوا على مقربة منها ورحت أدقق النظر في سحنتنها المشرقة على ضوء المصباح المتذاءب، وقد أخذ منها الهم مأخذه وفعل فيها فعله وبدت خصلات من شعرها بيضاء، قلت في نفسي ما أسرع ما دب الشيب الى رأسها وظهرت التجاعيد على وجهها وإني لاقطع إنها كانت قبل سنة على غير هذه الحالة، قبل أن يطلع على قلبها طالع الشر وقبل ان يصمي فؤادها طائش من سهام الظلم والغدر لقد تبدل حالها وتغيرت سحنتها، وحتى روحها غدت غيرها فهي مرآة مجلوة صافية، وتلك هي شيم المصائب في الحياة وتلك هي مواهبها، انها لتمر بك فتركسك في الهم والغم، ولكنها قد تعيدك انسانا سويا ببصيرة نيرة، وحكمة نافذة، ولعلك قارئي الكريم قد اشتقت الى ان تعرف شيئا عن قصة هذه الصالحة التي تؤويني وتقربني، فلانقل لك حدثا واحدا من أحداث حياتها المتعبة المكدودة.

انها اليوم على غير هيئتها وعادتها كل يوم، لقد تسرب الخوف الى نفسها التي لم تتعود ان تتوجس من شيئ او ترهب شيئا، فقد الفت هذه الحياة التي تحياها في هذه القرية حيث زوجها اما خارج، او عائد، او مسافر، او قائم على مزرعته يحرسها ويذود عنها الشرور، فكانت ترقد الى جنب صبيتها مطمئنة هادئة البال لا يطرق بالها طارق من خشية أو هلع، ولكنها هذه الليلة على غير شأنها المألوف دبت الخشية في نفسها، وتجمعت لديها مشاهد مفزعة من عويل الرياح، وقصف الرعد، وظلمة الاجواء، وإنهمار الأمطار، ثم وحدتها، لقد

أُعتقل زوجها في تلك الُامسية وظلت أفكارها تلح عليها حزينة كئيبة مهتاجة، كانت تقول في نفسها فعلها صالح، لقد جر الأذى الى نفسه، هاهم رفقاءه وصحبه آمنون مطمئنون مع عوائلهم وفلذات اكبادهم، الاّ هو، لو أنه مد يد المسالمة واللين لهم لما كان الان مجهول المصير وزوجه تفرك أصابع الحيرة تجيل ذهنها الشارد في متاهة المجهول، رأتهم يحيطون به، ويركبونه سيارتهم ثم ينطلقون فلا يعود الا بعد أسبوع لاتدري ماذا فعلوا به فقد كتم عنها كل شيئ لانهم كمموا فمه بالتهديد أن يبوح بأي شيئ، لقد كان صالح رجلا تقيا سليم القلب، طالما أرق يرعى الوافدين اليه، يقريهم، ويفيض عليهم من الخير الذي أتاه ربه، فهو سخي النفس، حميد الاخلاق، رفيع السجايا، فحين تراه تلمح في وجهه علائم الصلاح، وبوادر التقى، بهلة سنية، وطلعة زكية، ولقد اعتزل الجمع الذي يحيا بينه يفوح بعطره وينشر شذاه، كما ترتفع الوردة من بين العوسج شامخة فواحة، وأمضى حياته بينهم هو فيهم لكنه ليس منهم، فأما تراه قاصدا مزرعته حيث أرضه التي تجود عليه بوافر بركتها أو عائد وقد أمت الشمس مخدعها، فيسرع ليجلس على مصلاه منتظرا أُفول الغسق ليبدأ صلاته، وأن خالطهم فمخالطة من عنده، بصيرة من ربه، وظل دهره محزونا في هذه الحياة التي يحياها قومه، فقد تربعت بينهم الجاهلية الجديدة تفتيهم، من ضلالاتها فيعملون، وتنشدهم بصوتها المنكر فيسمعون، فلا راع يسيمهم، ولا حكيم يرشدهم، وقد خيم شبحها المرجف المقيت ينشر أجنحة كاسرة، ومخالب قوية يصفع بتلك، وينهش بهذه، وما فتئ بين هؤلاء يحوط صبيته بعينه الدامعة، رحمة بهم واشفاقا خائفا عليهم من قارعة الانحراف التي تشعبت قومه واهله.

وانتشر خبر استشهاد المرجع الكبير السيد محمد باقر الصدر

وانطفأت شمس كانت تنير سماء العراق ومن حوله، وخمد ذلك الصوت، وجف ذلك القلم الراعف بالعلم والمعرفة، وسكت ذلك القلب العطوف الخافق بحب الله ورسوله والاسلام .

لقد ذوى الرجاء في نفس صالح لكن هذا الذبول كان بمثابة الصحوة التي تسبق الموت، فلم لا يطلق صوته كما أطلق المجاهدون الاوائل اصواتهم في رحاب البلد الحرام، والبيت الحرام على مسمع المشركين هاتفا الله اكبر محمد رسول الله .

اليس المؤمن كالجبل الأشم لا تهزه الرياح، ولا الزوابع، أليس المؤمن يعود الى رحمة ربه الواسعة، وفضله الكبير، وعطفه .

الى متى نبقى كالأنعام يسار بها الى مجازرها بحزمة حشيش فلم لا يهب الانسان المؤمن لنصرة دينه الذي أضحى غريق المحنة؟ لم يظلم عباد الله الصالحين؟، لم يعتقل الأبرار؟، لم تحد السيوف؟ لم والاف من هذه التساؤلات.

كان صالح يتابع هذه الاخبار، وينتظر الفرج ويتأمل ذلك اليوم الموعود الذي يحكم الارض بالقسط والعدل كما حكمت بالظلم والجور.

كان واقفا في يوم من الأيام مع صحبه ومريديه من أل قريته، وكان الحديث هو حديث الرعب والخوف والتقية من الظالم .

لقد كان صالح يعترض، ويحاول قدر الامكان أن يقول كلمة المعروف ولو كانت فيها حياته، وهذا مما شدد عليه الرقابة، فراحوا ينكرونه ويتوعدونه، فاستطاعوا أخيرا أن يكرهوه على حضور جلساتهم الحزبية، ولقد جر أقدامه جرا وكأنه يساق الى منحره،وبدأت مراسم الجلسة وهو شاخص البصر، واله النفس، محير الفؤاد، كان يأمل ان يقولوا ولو رسما باسم الله، لكنه سمع ورأى ما أخرجه عن صوابه، وحدا به أن يطلق صرخة عظمى صكت جوانب الاجتماع، رآهم ينحنون وهم يرددون باسم البعث، صاح عاليا باسمك اللهم رب العالمين، التفوا اليه مشدوهين خائفين أن يصيبهم بعض الذي سيصيبه من قوارع الكلام، وقواصف الشتم والتقريع والتوبيخ، فضلا عن الركل والضرب، تركوه يذهب الى بيته وهو يصيح دين جديد، واله جديد، أستغفر الله وأتوب اليه، يا للهول الفاجعة أين وصل بنا المطاف والى أين يسار بنا يا رب؟ ترحم علينا برحمتك .

أين أنت يا ابن الحسن متى تطل بوجهك المشرق علينا فديارنا قد عمها الظلام وربوعنا قد طالها الجفاف؟

ركب المؤمنون الاهوال، وامتطوا المصاعب، لا تأخذهم بالحق لومة لائم، لم تغمض عيونهم، ولم ترقأ دموعهم، ولم تخمد حسراتهم، اقض مضاجعهم ما ترى من تبدل الدين،

وتغيير السنة، ومسخ الاحكام، وتشويه المعاني، فراحوا لا يقعد بهم ليل، ولا يقرّ بهم نهار، فهم نيران تلتهب، ومشاعل تضيئ، لم يعزب عن بصائرهم النيرة وقلوبهم الكبيرة شيئ يسير من هموم امتهم والامها.

الجاهلية ياسيدي قد نشطت في بلدي وقامت على ساق وهي كالكلب المسعور العقور لا يسلم من شرها أحد.

الناس هنا يطويهم تيار الجهل غرتهم الدنيا وخدعهم الهوى، فهاهم يلجون كل شر، ويقتحمون كل بغي، ويكرعون من كل آجن ويستسيغون طعم الحنظل، وهو يشل أفواههم، ويقطع أمعاءهم يسيرون في المتاهة ولا يرون اين منتهاها، يجيبون داعي الباغين خشية الموت وهو ملازم لهم كظلهم، يهربون منه وهو لصيق بهم، وهاهم يسيرون الى حتوفهم، ولم يفكروا بالزاد ليوم الورود .

صرعتهم الشهوات، فأردتهم بلا عقول، نسوا حظهم من آخرتهم، ولم يشغلهم الا هذا الحطام الزائل الذي هم عليه مزدحمون كما يزدحم الذباب على القاذورات.

ان قلوبنا يا سيدي تهواك ويسعرها الشوق الى لقياك، وترغب في أعماقها أن تكون كما تريد لها، ولكنها لضعف ايمانها ضعيفة عن مصاولة الهوى، قواها الخيرة محطمة مشلولة فهي صريعة الشهوات، لا يقوم فيها خاطر زكي، الا وتقمعه رغبة جامحة، وغرض زائل، فيصميها ويذهب بها.

أنا ابن هذه القرية ولدت وترعرت فيها، ونمت قواي واشتد ساعدي من مائها وهوائها، وهاهم أبناء جلدتي فيها يتألبون عليّ، ويهربون مني لأنهم يخافونني على دنياهم، كما أهرب منهم، لانني أخافهم على ديني، أراض أنا عن نفسي وعن فعلي بالأمس؟ أكانت قدماي تحملانني ام أنا كنت أحملهما؟ أهما جرتاني الى ذلك الموضع الدنئ،ام أن نفسي هي التي ساقتني اليه؟ او ليست مواطن البغاء هي أحسن حالا من هذه الأماكن التي ملئت بالشرك والالحاد، والمسلمون يرتادونها ليتزودوا منها تعاليم الجاهلية ليعودوا مشركين من حيث

يشعرون أو لا يشعرون، لقد كنت بعيد الجسم والنفس عن الاولى بعد المشرقين نافرا منها تنافر الجديدين، وقد لوثت نفسي بالأمس بدخول الثانية التي فاقت اختها ضلالة ورجسا .

الناس حولي دارت بهم الأرض الفضاء، وماجت بهم الدنيا، مادت أجسامهم إرتجفت أنحاؤهم، أسدلوا أجفانهم حين سمعت صيحتي الحق التي تقول لهم انتبهوا من غفلتكم وعماكم ان ربكم الله، ولا ركوع الا له، ولم تحدث صرختي فيهم شيئا من تغيير، ولم تحرك فيهم داعي الهدى والرشاد .

عاد صالح الى بيته وقص أمره على امرأته التي راحت تسمع له وقد علت وجهها غبرة التألم وسرت في انحائها اضطراب، فهي مسمرة البال به مصوبه العينين تجاهه، صاغية الاذنيين الى ما يقول، كانت تخاف عليه هذا الموقف، وتتوجس عليه منه اشد التوجس، وتخشى عليه هذه العاقبة، أما هو فقد كان يحس كأن ثقلا باهضا قد انزاح عن كتفه فهو خفيف الكاهل، هادئ البال، لكأنه لا يشغله شاغل .

تبسم لها بسمة لم تعهدها، وقد راح وجهه يشرق إشراق الصباح، أدناها منه فدنت وجلة حذرة، وقد راحت بسمته الندية المتلألأة تنير الأفق المظلم أمام عينيها لهذه المحنة التي أطبقت كثافاتها عليها سوداء مدلهمة.

وأخذ بيدها التي مشى فيها برد الهواء والسكينة وانشأ يحدثها:

الان اكشف لك عن ما في نفسي، الان اكشف لك عن كل ما يدور في خلدي .

اعلم يا عزيزتي انني سوف اعتقل، وسوف اعدم وبذلك سوف البس تاج الفخر الذي طالما حلمت به. وسوف أتوسم بوسام العز الذي كنت أتمناه .

سوف تصعد روحي الى بارئها تشتكي ظلم عباده الجائرين عن قصد السبيل،المهطعين لداعي الشهوات، الجاثمين تحت اثقال الخطايا، الراكضين خلف اللذات والاهواء .

ان هذه الحكومة يا شريفة حكومة جور وظلم، لقد مسخوا عقائدنا، وضيعوا علينا وعلى شبابنا مسلك الرشد والصلاح، عمسوا علينا خبر الحقيقة، لم يرعوا لنا محرما الا انتهكوه، ولم يتركوا لنا فضيلة الا ضيعوها، تقر ضمائرنا بعد هذا السكوت لتفرغ أوقاتنا للعبادات العقيمة، هيئي نفسك فعما قليل يسفر الصبح، صبح النصر ليقمع ليل الشيطان، وتسري روح الثورة الظافرة في هذه الارجاء، وينبعث نداء الحسين من جديد.

كوني لابنائك زادا من التهذيب وافرا، اقري عيونهم بموت أبيهم في سبيل الله كوني لهم حصنا عن الضلال واقيا، لا تقولي انا ضعيفة لانني امرأة لا اقوى على ذلك، وكيف لي الثبات على الحق اذا أت غيبت بين أطباق الثرى، وارتهنك جوف الارض.

جرت دموعها على خديها وانشأت تقول :

لقد بت استيقظ من نوم الغفلة واطرد عن قلبي تلك الاوهام والرؤى المتسعرة، وأهش عن ناظري بنور البصيرة هذا القتام الذي ينشره الشيطان من حولي فيسدل نقابا كثيفا دون أن أرى الحقيقة الماثلة، وفق الله خطاك، وسددك لأمور آخرتك، وهداك .

استبشر وجهه، وتهلل فرحا وهو يراها تنزع عنها ثوب الحزن، وتلبس لباس التأسي والصبر.

ويقوم من مكانه وافر النشاط، قوي الهمة، ماضي العزيمة .

أما هي فقد أثر فيها انشراحه كثيرا، وغير فيها كثيرا، فتبدلت حالها، وتغيرت سحنتها، وابتهجت نفسها، ثم قامت نشيطة لتعد طعام العشاء وكأن شيئا لم يحدث .

وقضيا تلك الليلة في تناج واصب، فهذه صور الماضين تترى أمام ناظريهما، وهذه فجائعهم تتوالى امامها دامية مؤلمة، فتزيدها صلابة وعزما على السير على هذا النهج الواضح، والمحجة القويمة .

وأشرق الصباح فأطل على البطاح بنوره الوضاح، وانساب ضوؤه على هذه الظلمة فازالها عن وجه البسيطة، وخشعت نفس صالح وسالت دموعة عندما لاحت له خضرة

الارض التي سواها بيده، ونفخ فيها من روح جهده وسعيه، وبدت لناظره ناضرة زاهية، لقد حز في نفسه ما ستؤول اليه هذه النضرة الاخاذة اذا ما دهاها العطش فسرى الذبول في انحائها، حين يغيب عنها كافلها وراعيها في أطواق الظالمين وكبولهم .

وومض في باله خاطر أنبه على شعوره باللوعة لأرضه الصادية تريد الماء. تروي ظمأها وجاءه حديث من نفسه: ودينك يا صالح يريد منك الدم يبل به ظمأة، ويقيم عوده، فليس غير الدم يعيد الحق الى نصابه ويرد الكيد الى نحره.

ومضت ساعات اليوم يتلو بعضه بعضا وهو ينظر مقدم الغواة ليجروه الى مباءة العذاب، وليس بوسعه أن يتخفى أو أن يهرب فالعيون تترصده، وكل القرية قد أصبحت عينا عليه ورقيبا .

وطفلت الشمس للمغيب، وولجت مخدعها بعد ان توشحت وشاحها القاني لتتدثر بجلباب الظلام، وتتغطى بدثاره، وجاء الجناة العادين، وولجوا دار صالح غير مستأنسين ولا مستأذنين، وقام هو لهم ثابت الوطأة، رابط الجنان، لم يخالجه الخوف، ولم يخالطه الجزع، وجروه بعنف ومضوا به وامرأته قائمة تشيعه بنظراتها وصبيتها الى جنبها قد أخذ منهم الموقف المريع كل مأخذ، ودهى قلوبهم الوادعة بلوعة لم تعرفها من قبل، وعذاب لم يطرق أبوابها قط .

وانطلقت بهم السيارة تلقف المسافات، ولم تستطع عندها شريفة أن تحبس دمعة اغرورقت عينها بالدموع ففاضت، ثم مسحت عينها بكمها ورددت: اللهم انصر الحق واخذل الباطل.

نامت تلك الليلة مع صغارها راضية غير ساخطة، وقامت فيهم مقام أبيهم تحوطهم برعايتها وتفيض عليهم من لطفها وتهش لهم بقلب قد اذاب المشهد نصفه، وتمسح على رؤوسهم بيد ذابلة حانية.

وتجري امام قلبها المشاهد، فها هو صالح في محبسه لم يذق طعما للطعام ولا للنوم بين سورات العذاب، وفي لهوات التعنيف والتكبيت والسباب والضرب، فلا يلين ولا يضعف، بل

هو ثابت صامد، كأنه قد قد من صخر وهي في لياليها المقبلة تتراءى لها، هكذا اذن تقلب الايام وتبدلها لكنها على كل حال راضية قانعة صابرة شاكرة، وانها الان مثلجة الفؤاد كأنها لا تحس أثرا للهم في نفسها على عكس المها حين أُعتقل زوجها أول مرة .

لقد احسن صالح معها صنعا حين كشف النقاب عن عينيها لتبصر الحقيقة، واوضح لها مسلك الرشد وأنارلها الداجية بضياء الاستبصار، وأزاح عن الأفق أمام ناظريها ظلمة الحيرة التي كانت تتخبط في عمياتها .

لقد تذكرت شريفة تلك الليلة العاصفة المدلهمة التي اعتقل فيها زوجها أول مرة، وكيف انها ظلت بعده أرقة العين، دامية الفؤاد .

مرتجفة الفؤاد خائرة القوى. أما الآن فقد أضاء الصبح لعينيها اللتين غشاهما الوسن، أولعب بهما فأراد أن ينقلهما الى أحضانه والى جانبها نار تتوقد، ولهيب يستعر، وهي على حافة الهوة تهم ان تقع فيها، وهي مع ذلك ساهية لاهية يطويها تيار الجهل، ويأخذها الى لجه الغامر.

ها هي تتقشع سحب الدهاء من أمام ناظريها، وتبزغ شمس الحقيقة الضاحكة تقول للمؤمن: هيا الى الراحة الدائمة، والدار المطمئنة، والزاد الوفير،حيث لا سغب ولا نصب، حين تبصره فجائع الماضين من ملوك وجبابرة كانت لهم العزة والمنعة لبسوا الحرير، ومشوا على الوثير، واحتسوا الكؤوس المترعة من السعادة الزائلة حيث اتبعوا سلطان الشهوات، فأخذتهم سكرتها، حين أولجتهم المهالك وهاهم يفترشون الارض ويلتحفون التراب قد أكتحلت العيون المترفة منهم بالرمل وملئت افواههم الناعمة بالدود، يأكل بضة أجسادهم وينعم بالسير على أجسامهم التي غدت مزقا مبعثرة الانحاء، منثورة الأحشاء، فأين من نعيمهم الذاهب، وملكهم الزائل ليس أمامهم الان الا الذين ظلموهم، وسلطوا كلابهم تنهش لحومهم وأكلوا ما قسم الله لهم، فحرموهم حتى شم النسيم.

فأين هؤلاء من اولئك تعذبوا قليلا فنالهم حظ عظيم فرضوا القرار وصحبوا الاخيار فلا استكاك لاجسامهم، في ضجعة اللحد، ولا عرفوا ضغطة القبر ولا حسابه، وسؤاله، لأنهم

اختاروا عذاب الدينا على أن يربحوا الآخرة فصاولوا أهواء انفسهم، وسهدوا عيونهم، وأقضوا مضاجعهم بالذكر والعمل الصالح فأخذتهم المشيئة التي عرفت فيهم النزاهة والسعي والنية الخالصة الى أيسر السبل وانجحها قرارا، وتمضي الأيام ولا خبر عن صالح الا حديث نفسها الصادقة تقول لها :

قري عينا ولا تبقي مسهدة وتحملي ثقل الامانة التي القاها على كتفك، ارعي هؤلاء الصغار فقد أصبحوا ايتاما فليس لهم معيل سواك، ولا ملجأ عداك، فان رضيت المصير فإنك مع السعداء والا فليس الا الشقاء.

صالح في هذه المرة قد أعّد نفسه للصولة والجولة، وأصبحت الحياة الباقية أمامه قاب قوسين، فلم لا يوضح لامرأته ما عرف هو ولم تعرف هي، لم لا يبين لها الحقيقة عما يجري؟.

نعم انها امرأة ساذجة ولكنها مؤمنة ومتفهمة وتود ان تعرف وظيفتها في حياتها كامرأةمثل بقية بنات جنسها، قال صالح موضحا لزوجته ما لا تعرف هي، وهذه المرة بصراحة ومن دون خدع او تمثيل :

ان هذه الحكومة يا شريفة حكومة جور وظلم، لقد مسخوا عقائدنا، وضيعوا علينا وعلى شبابنا مسلك الرشد والصلاح، عمسوا علينا خبر الحقيقة، لم يرعوا لنا محرما الا انتهكوه، ولم يتركوا لنا فضيلة الا ضيعوها، تقرّ ضمائرنا بعد هذا السكوت لتفرغ أوقاتنا للعبادات العقيمة، هيئي نفسك فعما قليل يسفر الصبح، صبح النصر ليقمع ليل الشيطان، وتسري روح الثورة الظافرة في هذه الارجاء، وينبعث نداء الحسين من جديد.

جرت دموعها على خديها وانشأت تقول :

لقد بت استيقظ من نوم الغفلة واطرد عن قلبي تلك الاوهام والرؤى المتسعرة، وأهش عن ناظري بنور البصيرة هذا القتام الذي ينشره الشيطان من حولي فيسدل نقابا كثيفا دون أن أرى الحقيقة الماثلة، وفق الله خطاك، وسددك لأمور آخرتك، وهداك .

استبشر وجهه، وتهلل فرحا وهو يراها تنزع عنها ثوب الحزن، وتلبس لباس التأسي والصبر.

ويقوم من مكانه وافر النشاط، قوي الهمة، ماضي العزيمة .

أما هي فقد أثر فيها انشراحه كثيرا، وغير فيها كثيرا، فتبدلت حالها، وتغيرت سحنتها، وابتهجت نفسها، ثم قامت نشيطة لتعدّ طعام العشاء وكأن شيئا لم يحدث .

وقضيا تلك الليلة في تناج واصب، فهذه صور الماضين تترى أمام ناظريهما، وهذه فجائعهم تتوالى امامهما دامية مؤلمة، فتزيدهما صلابة وعزما على السير على هذا النهج الواضح، والمحجة القويمة .

وأشرق الصباح فأطل على البطاح بنوره الوضاح، وانساب ضوؤه على هذه الظلمة فازالها عن وجه البسيطة، وخشعت نفس صالح وسالت دموعة عندما لاحت له خضرة الارض التي سواها بيده، ونفخ فيها من روح جهده وسعيه، وبدت لناظره ناضرة زاهية، لقد حز في نفسه ما ستؤول اليه هذه النضرة الاخاذة اذا ما دهاها العطش فسرى الذبول في انحائها، حين يغيب عنها كافلها وراعيها في أطواق الظالمين وكبولهم .

وومض في باله خاطر أنبه على شعوره باللوعة لأرضه الصادية تريد الماء. تروي ظمأها وجاءه حديث من نفسه: ودينك يا صالح يريد منك الدم يبل به ظمأة، ويقيم عوده، فليس غير الدم يعيد الحق الى نصابه ويرد الكيد الى نحره.

ومضت ساعات اليوم تتلو بعضها بعضا وهو ينظر مقدم الغواة ليجروه الى مباءة العذاب، وليس بوسعه أن يتخفى أو أن يهرب فالعيون تترصده، وكل القرية قد أصبحت عينا عليه ورقيبا .

وطفّلت الشمس للمغيب، وولجت مخدعها بعد ان توشحت وشاحها القاني لتتدثر بجلباب الظلام، وتتغطى بدثاره، وجاء الجناة العادون، وولجوا دار صالح غير مستأنسين ولا مستأذنين، وقام هو لهم ثابت الوطأة، رابط الجنان، لم يخالجه الخوف، ولم يخالطه الجزع، وجروه بعنف ومضوا به وامرأته قائمة تشيعه بنظراتها وصبيتها الى جنبها قد أخذ منهم الموقف المريع كل مأخذ، ودهى قلوبهم الوادعة بلوعة لم يعرفوها من قبل، وعذاب لم يطرق بابهم قط .

وانطلقت بهم السيارة تلقف المسافات، ولم تستطع عندها شريفة أن تحبس دمعة اغرقت عينها بالدمع ففاضت، ثم مسحت عينها بكمها ورددت: (اللهم انصر الحق واخذل الباطل).

نامت تلك الليلة مع صغارها راضية غير ساخطة، وقامت فيهم مقام أبيهم تحوطهم برعايتها، وتفيض عليهم من لطفها، وتهش لهم بقلب قد أذاب المشهد نصفه، وتمسح على رؤوسهم بيد ذابلة حانية.

وتجري امام قلبها المشاهد، فها هو صالح في محبسه لم يذق طعما للطعام ولا للنوم بين سورات العذاب، وفي لهوات التعنيف والتكبيت والسباب والضرب، فلا يلين، ولا يضعف، بل هو ثابت صامد، كأنه قد قُدّ من صخر وهي في لياليها المقبلة تتراءى لها، هكذا اذن تقلب الأيام وتبدلها لكنها على كل حال راضية قانعة صابرة شاكرة، وانها الآن مثلجة الفؤاد كأنها لا تحس أثرا للهم في نفسها على عكس المها حين أُعتقل زوجها أول مرة .

لقد احسن صالح معها صنعا حين كشف النقاب عن عينيها لتبصر الحقيقة، واوضح لها مسلك الرشد وأنارلها الداجية بضياء الاستبصار، وأزاح عن الأفق أمام ناظريها ظلمة الحيرة التي كانت تتخبط في عمياتها .

لقد تذكرت شريفة تلك الليلة العاصفة المدلهمة التي اعتقل فيها زوجها أول مرة، وكيف انها ظلت بعده أرقة العين، دامية الفؤاد .

مرتجفة الفؤاد خائرة القوى.

أما الآن فقد أضاء الصبح لعينيها اللتين غشاهما الوسن، أولعب بهما فأراد أن ينقلهما الى أحضانه والى جانبها نار تتوقد، ولهيب يستعر، وهي على حافة الهوة تهم ان تقع فيها، وهي مع ذلك ساهية لاهية يطويها تيار الجهل، ويأخذها الى لجه الغامر.

ها هي تتقشع سحب الدهماء من أمام ناظريها، وتبزغ شمس الحقيقة الضاحكة تقول للمؤمن: هيا الى الراحة الدائمة، والدار المطمئنة، والزاد الوفير، حيث لا سغب ولا نصب، حين تبصره فجائع الماضين من ملوك وجبابرة كانت لهم العزة والمنعة لبسوا الحرير، ومشوا على الوثير، واحتسوا الكؤوس المترعة من السعادة الزائلة حيث اتبعوا سلطان الشهوات، فأخذتهم سكرتها، حين أولجتهم المهالك وهاهم يفترشون الأرض ويلتحفون التراب، قد أكتحلت العيون المترفة منهم بالرمل، وملئت أفواههم الناعمة بالدود، يأكل بضة أجسادهم وينعم بالسير على أجسامهم التي غدت مزقا مبعثرة الأنحاء، منثورة الأحشاء، فأين من نعيمهم الذاهب، وملكهم الزائل؟، ليس أمامهم الآن الا الذين ظلموهم، وسلطوا كلابهم تنهش لحومهم وأكلوا ما قسم الله لهم، فحرموهم حتى شم النسيم.

فأين هؤلاء من اولئك تعذبوا قليلا فنالهم حظ عظيم فرضوا القرار وصحبوا الاخيار فلا استكاك لاجسامهم، في ضجعة اللحد، ولا عرفوا ضغطة القبر ولا حسابه، وسؤاله، لأنهم اختاروا عذاب الدنيا على أن يربحوا الآخرة فصاولوا أهواء انفسهم، وسهدوا عيونهم، وأقضوا مضاجعهم بالذكر والعمل الصالح فأخذتهم المشيئة التي عرفت فيهم النزاهة والسعي والنية الخالصة الى أيسر السبل وانجحها قرارا، وتمضي الأيام ولا خبر عن صالح الا حديث نفسها الصادقة تقول لها: قرّي عينا ولا تبقي مسهدة وتحملي ثقل الامانة التي القاها على كتفك، ارعي هؤلاء الصغار فقد أصبحوا أيتاما فليس لهم معيل سواك، ولا ملجأ عداك، فان رضيت المصير فإنك مع السعداء والا فليس الا الشقاء.

وصلت الى بلدتي التي فارقتها وانا محملة بالهموم، فزعة من شبح اسمه الاعتقال الذي يمثل الهتك والتجاوز العابث على ايدي شر خلق الله من شراذمة باعوا الضمير والوجدان بحفنة من الدراهم القذرة.

واليوم ها انا اعود الى مدينتي ولا يزال الخيال يسرح بي الى تلك الافاق من المحبة والوفاء من زوج حبيب، قد فقدته بعد معاشرة ايام قصيرة ذقت فيها حلاوة الانس والسرور، فهو الزوج الواعي الملتزم الذي احاطني بعنايته ورعايته حتى انساني ما يقال عن الرجال من انهم متسلطون يرهبون نسائهم، ولا يعرفون لهن اية قيمة، وليس غريبا عن احمد ذلك التصرف الحسن وتلك الاخلاق الفاضلة فهو ابن الرسالة التي تربى فيها، ونشأ على مُثُلها وقرأ سيرة اوليائها.

انه ابن القرآن الدستور الالهي الذي انقذ المرأة من وهدتها، ورفعها الى اعلى مكان وكرمها تكريما .

رحت افكر الى أين أذهب؟ واين سيكون محط رحالي؟.

أأذهب الى أهلي وعيون الجناة تترصد بيتهم، وهل سأجد عندهم ما يحميني بعد الذي حدث.

أأذهب الى بيت صديقتي حميدة لعلي أجد عندها مفزعا ومأوى؟

وخطر لي خاطر لا أدري منشؤه وهو من يدري انه يطاردونني الى الان، بل لعلهم غفلوا امري ونسوا، ولعل ما توقعته ليس صحيحا فالاسماء تتشابه، والعناوين كذلك، ثم انا لم افعل شيئا يضر بهم الا هذا الجلباب الذي ارتديه وهذه الطرحة التي على رأسي تخفي شعرات رأسي، وهل هذه جريمة اعاقب عليها؟ .

واخيرا قررت أن أسلك الطريق الثاني فلعل صديقتي حميدة تستطيع أن تذهب الى أهلي تستطلع أخبارهم.

ومضيت اليهاومن حسن حظي انها كانت موجودة عندما طرقت الباب، وهي من استقبلني.

رأتني فهشت لاستقبالي وأدخلتني الدار بسرعة تحاول أن لا يراني أحد من أهل البيت، فاحسست انها تحمل الكثير من الاسرار او الانباء.

قالت: ارتاحي حيثما اراقب الوضع في المنزل، ثم ذهبت على عجل، وبعد مدة وجيزة رجعت اليّ وراحت تقص علي حكايات جديدة قد جرت اثناء غيابي عن المدينة.

وكانت اخبارا متوقعة لديّ لعلمي ان الجبابرة لا يتنازلون عن مقرراتهم القذرة في التنكيل من اجل السلطان الذي يطلبون، والمنصب الذي يودون حتى وان هلك الناس باجمعهم .

لقد اعتقل فلان، واعتقلت فلانة، وافرج عن فلان وافرج عن فلانة، وأنا اقول في نفسي لقد استشهد فلان، وماتت فلانة .

وماذا بعد قالت:

الكارثة هنا يا عزيزتي انه أخي رعد قد ضل سواء السبيل، الم تعرفي ذلك؟

قلت منفعلة .

ـ ماذا؟، قالت: نعم أخذوه أوسعوه ضربا، شوهوا معالم جسمه ونفسه، وعادوا به الينا قد مسخ مسخا، وهاهو الان كلب يلهث لهاثهم، يأكل من جيفهم، ويشرب من مستنقعهم، وينام على نارهم، وهذه الكارثة وما أعظمها، ألم تري انني بهتُ لرووياك لانني خفت عليك، و أخشى أن لو علم أخي بك سيفعل معك فعلة الأنجاس فيشي بك الى رجال الارهاب فيأتون لاعتقالك، وما أسهل ان يفعل .

ـ اتقصدين سيكون اخوك رعداً ابن طوعة التي آوت الشهيد مسلما ابن عم الامام الحسين فوشى ابنها به الى ابن زياد، وتسبب في قتله مع معينه وناصره الشهيد هانئ بن عروة؟

ضحكت وقالت: هكذا اصبحنا اذن نعيد سيرة الماضين .

لقد كان لهذا الخبر وقع اليم على قلبي، هل يمكن ان يكون رعدا قد نسي كل شيئ، وخان الامانة العظمى، وفر من صفوف اخوته، بل انتقل من صفوفهم الى صفوف اعدائهم وبهذه السرعة، يا رب اشفق علينا وثبت اقدامنا .

ثم سألتها مستفسرة:

وبعد من تعرفين من صديقاتنا لم تمسهن يد السوء ولم تصل اليهن قارعة الوبال؟

قالت: نسيت أن أقول لك إن صديقتنا لبانة سيعقد قرانها هذا اليوم، وسوف نذهب معا الى هناك، فعسى أن تجدي لك من يخرجك من محنتك.

سررت كثيرا عند سماعي لهذا الخبر فلبانة أعز صديقاتي واحسنهن في ايمانها حالا، وانضرهن في دينها جمالا، وأوسعهن إطلاعا وأكثرهن عملا، وأنشطهن سعيا، وهي بعد ذلك لن تقترن الا بمثلها ولا أظنها قد أخطأت الاختيار فرضيت بمن لا يلائم طبعها او يتحد معها في فكرتها وعملها.

ولكن هل يدعنا الجلادون ننعم بمثل هكذا وصال تقر به الاعين، فيكون لنا فرحا وسرورا مثلما للناس؟ ام انهم سيقلبون علينا أفراحنا احزانا؟

وان لبانة ليست بالفتاة الخافية تصرفاتها ودعوتها الى دين ربها فهي في الجامعة علم على رأسه نار، لا زالت تدعو الى ربها ودينها، ولا تبالي بما يقال فيها من أقوال الخصوم والحاسدين، وانها قد ردت كثيرا من خطابها لانهم لا يتوافقون مع مبادئها وقيمها، مما سبب لها هذا الرد بعض العناء.

اذن نحن ننتظر امورا علها تكون القاصمة، وعلها تكون طريقنا الى السعادة الأبدية.

جاء الليل وصديقتي تحاول وسعا عدم اطلاع احد بوجودي، ولحسن الحظ ان بيتها كان كبيرا بحيث يمكن اخافئي اذا قدرت على ان تضبط مشاعرها وتتركني لحالي فان ترددها على مكان متروك او مهمل يدعو الى الشك والريبة .

جاءت اليّ بعد منتصف الليل تسعى كأنها حية فضحكت وقلت: ماذا تصنعين قالت :

خلتك خلدت الى النوم ،جئتك بطعام هيا تعالي تعشي فانا ايضا جائعة فلم استطع ان آكل شيئا لعلمي انك جائعة. قلت:

لايهم المهم اني في مكان آمن.

وبت ليلتي هناك اتربص، ومن سوء الحظ ان رجال الخراب كانوا في تلك الليلة يحاصرون بيتا للمؤمنين، فكُثر الصياح والعربدة ثم تلاه اطلاق نار، لاندري من اين مصدره.

لم يكن نومي في تلك الليلة مريحا ولا هادئا وانما هو نوم متقطع تخللته كوابيس الاعتقال، واصبح الصباح وانا اتطلع الى يوم نسميه سعيدا .

قالت صديقتي: علينا الذهاب الى الحفلة .

قلت: وانا سأكون المفاجأة التي تفرح بها لبانة.

قالت: حسنا سوف نذهب معا .

وحل المساء ورحنا نستعد للذهاب الى الحفلة، فارتديت ثوبا من ثياب صديقتي، ثوبا بسيطا لا يجذب النظر، ولعله يكون موضع انتقاد الساهيات، واللائي همهن الانتقاد في مثل هذا اليوم ولا يتورعن عن الكلام في شؤون اللبس والملابس.

وخرجنا معا نريد البيت الذي سيشهد عقد قران صديقتنا المفضلة.

هذه دار عبد الرؤوف على غير عادتها كل يوم بابها مشرعة يدخل منها الوافدون ليشاركوا اهلها فرحهم وابتهاجهم بعقد قران ابنتهم، ولكن من كان الوافدون؟ .

بالطبع من الرجال من له علاقة بخطيب لبانة وبأهل لبانة وصواحبها .

ان أنت اطللت عليهم سترى حشدين من الرجال والنساء لا يفصل بينهما الا هذه الحيطان النساء قد تجمعن حول لبانة ينظرن اليها نظر المتفحص ويسبرن كل انحائها.

بهذه النظرات الحادة فلا تقع لهن عين على مثلبة يمكنهن ان يتحدثن بها، حتى هذه الملابس البسيطة كانت بساطتها مع اناقتها لا تثير فيهن وقد لبسن التكلف والتعقيد وحسبنه احسن شيئ وابدعه، اي شيئ من الفضول يتحدثن له عنها ذما وتوهينا الا ما كان من بعضهن فقد دفعتهن المكابرة فهمسن مرة وقلنها بصوت مسموع مرة اخرى انه ينبغي لهذه الفتاة المتعلمة المليحة ان تكون في هذا المقام على غير حالها هذه، مالها أمسكت عن الوان الزينة تجمل بها نفسها. ومالها عزفت عن اللباس البديع.

اما انا كنت أنظر الى لبانة فأتخيلها ملاك هبط من علياء السماء على هيئة انسان، لا لانها العروس المزينة. بل لقد كانت حاستي السادسة هي من يرى ويتأمل .

قمت وهمست في اذنها وانا احاول جهدي ان لا يسمعني احد .

ـ يالك من ملاك بهذا اللباس الحسن؟

قالت وهي تبتسم:

اتهزئين مني؟

قلت: كيف اهزء من رفيقة دربي وصديقتي بل لنقل حبيبة روحي .

قالت: أُريد ان أتكلم بكلام قد لا يعجب الحاضرات، أحسبني لا أجد فرصة أُخرى القي فيها بهذا العبء الذي على ظهري، والذي يقول لي انهضي اصرخي آن الاوان .

ـ ان هذا اليوم هو يوم فرحك وسرورك فجنبي نفسك هول مصيبة قد تقع .

ـ وهل تظنيننا سننجو بعد ذلك اليوم الذي القيت فيه محاضرة على جمع من الاخوات بمناسبة ولادة الزهراء سلام الله عليها، وها انا احفظها.

حقا اقصد انني سجلتها ولازلت اذكرها.

ـ لا احسبني اجد فرصة اخرى للحديث .

ـ اذا كنت تعتقدين ان هذا من واجبك والتزامك فافعلي.

في هذه الأثناء كانت الحاضرات يأكلن مما قدم لهم من الفاكهة والحلوى وهن فرحات مستبشرات .

وهنا بادرت لبانة الى الحديث فرفعت الحاضرات رؤوسهن لينظرن من هذه المتكلمة، وعندما رأين لبانة هي من يتكلم لم يخفين تعجبهن من هذه الشجاعة، فلبانة اليوم ليس من شأنها الحديث ولا هي في حفلة تلقي فيها محاضراتها كما كانت تفعل، بل هي في يوم انسها وسرورها، وليس عليها أن تقوم بمثل هذا العمل الذي قد يعرضها للسخرية أكثر مما يعرضها للاعتقال.

قالت لبانة:

يا حسرتا على ابنة آدم حين خلقت لتكون للرجل نصفه الذي لا يكتمل الا به وظله الذي لا يجد الراحة الا فيه، ومعين العزم الذي به يتحرك ويسعى فيكون لها في بناء الحياة نصيبها الكبير، كيف نبذت سنتها التي خلقت لها؟ وتنكرت لجبلتها التي صبت عليها هرعت صوب جهالات مغوية، وحماقات موبقة، فعادت في الحياة سلعة أكثر منها انسان ذا شعور وصارت آلة اكثر منها كيانا ذا ارادة فها انتن تنظرن النساء يرحن ويأتين بأرواح مصطنعة، وأجساد مموهة، برقعنها بألوان. وصبغنها كأنما هي قطعة مزخرفة، وكأن هذه البشرة التي تعلوهن ليست بشرة تعلوها الحياة، وتسري فيها الروح فهما يهبانها نضرتها وحسنها.

وأصبح الاله الذي يعبد هو الموضة فهن مسارعات في هذه الحلبة.

السابقة في ساحها هي الفائزة ومن قعد بها العجز كما يقولون او هو الترفع كما هو الحق، فسيقال هذه مهملة مضيعة لحق الحياة وخارجة عن أطوار الناس، ومااللفوه فأولى لها ان تعيش في المجاهيل لا في أوساطهم .

اين المرأة التي أرادها الاسلام في هذه الامة الكريمة ان تكون رفيعة النفس، سامية الفكر، همومها كبيرة، وغاياتها عالية، لها في البيت ميدان غير هذا الذي تعيش، ولها بين الناس غير هذا الشأن الذي تتردى في حفرته العميقة.

لقد أنجبت هذه الامة العظيمة العظيم في كل شيئ، الفكر، الفنون، والقادة، والمواقف العظيمة التي لم تأت بها امة من الامم، ومحكم الصنع الذي لم تبدعه امة سواها، ولم تنس ان تعير المرأة بالها وعينها فانشأها فكرها خير انشاء، وراحت على عينها تصنع صنعا بديعا فلم يمض زمن طويل حتى عادت المرأة تناهز الرجل، وقد تسبقه فكان منهن المصلحات والعالمات والمتحدثات، بل زاحمن الخلفاء على ارائهم فعارضنهم وافحمنهم، وقمن في وجوههم ينتقدنهم فعاد من مقام المرأة بينهم ان لا يستحي احدهم ان يقول (حتى النساء خير مني) ما كان أجدر بابنة هذه الامة ان تتكرم بكرامتها وان تترفع برفعتها، وان تتسامى بسموها فلا زالت تعلو وتتسامى حتى تبلغ الشأو الذي كان لها هبة من ربها وايما هبة، وما كان احراها اليوم والايام تتصاعد نحو الكمال ان تكون على شاكلة اللائي سبقنها ان لم تكن خيرا منهن، لكنها أمست وهمها التراب تركض خلف بريقه، وتعبث به ثم تغفو بين أحضانه وكل دأبها في حياتها أن تظفر بأكثر شيئ منه .

وليتها حين نأت عن الهموم العظيمة ان تتعب من اجلها ـ وجدت الراحة في إخلادها الى الأرض ولم تقع في حمأة النصب الشديد، والمشقة البالغة، ألم يكن كل ما حل بهذه الامة من الضعف والهوان هو من هذه الحربة القاتلة التي شهرها أهل الكيد لها وسعت بها الصهيونية المقيتة لتطعنها بها طعنة لا قيام لها بعدها؟.

الم تكن هي المرأة التي قال عنها الصهاينة في بروتوكولاتهم انهم سيجعلونها معبر النصر وسر الفوز والباب الذي يدخلون منه الى جنة ألاحلامهم، فنادوا بإذلالها، وتحطيم كبرياءها، وقام لها دعاة هنا وهناك ينادون بذلك الاذلال والتحطيم، فكرهوا لها بكل سبيل ما هي فيه من كرامتها ورفعتها وأحاطوها بالمغريات وخدعوها بالسفاسف، ونشروا أمام عينها البريق والبهارج، فركضت حتى أمكنت لهم، فخلعوا عنها ثوب العفاف، وسلبوها رداء الكرامة، وعادت لهم سميعة مطيعة يقولون لها افعلي فتفعل بنداء خادع اسمه الموضة، حتى

قامت اسرائيل هذا البلاء الجسيم الذي يهم بهذه الامة ويقصدها كل يوم باعظم السوء، ويأتيها بمنكر البلايا، وهي في كل يوم ينبع لها نابع يعطي لها بيده وتساومه فيذل لها، وتتخوفه وتؤمله فينحني لها من خوفه أو طمعه حتى عاد بعضهم أداة لها ليضرب غيره من اخوانه وأبناء قومه وليكون سيفا قاطعا يطعن في دينه وكرامته، انها مأساتنا بدايتها الاسرة فهي ام المجتمع والاسرة وبدايتها وأساسها الام فان صلحت فقد صلح المجتمع كله، وان فسدت فلا خير في بناء بني على اساس واه سرعان ما يخور فيسقط البنيان في الحضيض .

آه يا صانعة الاجيال اين أنت عن دورك الذي رسمته لك السماء وشريعتها؟ كيف صدفت عن سبيلك الميمونة التي سارت بك بالامس الى أشرف غاية، ووضعتك في أرفع مكان، ماالذي جنيته اليوم وأنت في منأى عن كرامتك ومجدك غير المذلة والهوان، اصنعي لنا الرجال الاقوياء تجري في عروقهم الاصالة والعمق والحكمة، حين تنفخين في أبدانهم من روح الهدى، وتفيضين في قلوبهم من معين الصلاح، ليعيدوا لهذه الامة الكريمة التي حفت بها الكروب والخطوب، دورها الرائد الذي كانت فيه، لا تلهينك الزخارف عن دورك، ولا يخدعنك الخادعون بمكائدهم عن شأنك، فأنت أُس الحياة، وأنت تصنعين القادة الامناء في كنف الفضيلة تهبين الجنود الاوفياء في رحاب الايمان .

الم تكوني مع محمد سيفا من سيوفه على أعدائه، ويدا تعينه على بناء الامة الكريمة؟ الم تكوني ممن يبايعونه على البذل والفداء ويهاجرون عن أهليهم وديارهم فرارا بدينهم، ويسخون باعز ما لديهم من أجله، كيف عدت حربة في قلبه تهطعين الى نداء عدوه فينتضيك سيفا عليه، وتبذلين له اكرم شيئ وهبك اياه بعد اذ حرمت منه قرونا متطاولة وهو كرامتك وشموخك رخيصا ليصيب من امتك غايته من هد ركنها واذلال كلمتها؟

كانت لبانة تتكلم بصوت متهدج، وعبرة بادية، حتى غلبها هذه اللحظة بكاؤها فسكتت عن الكلام، بينما راح الحضارات امامها بين ساكتة على حيرة، او باكية لبكائها، او باكية للمعنى الذي ابكاها، وانطلق الى سمعها صوت امها :

ـ رفقا بنا يا لبانة هذا موضع انس وسرور كفى يابنيتي.

كفت لبانة عن الحديث وراحت تكفكف دمعها واجهدت نفسها كي تعود الى حالها قبل كلامها.

وانصرف الحاضرات من ذلك المشهد الميمون تودعهن لبانة ببسمتها الصافية، وروحها الطيبة، ووجهها المشرق، تحمل كل واحدة منهن في نفسها شيئا جديدا فهذه آلمها تقريع لبانة لهن، وصولتها عليهن وقد حسبت انها نالت منهن بكلامها وحطت من قدرهن، وتلك راحت تضمر في نفسها شيئا تود لو ذهبت به الوشاة الى أسماع الجناة، وتلك خرت مؤنبة نفسها على ما سلف من امرها، متحسسة واقعها الاليم ناقمة على السراب الذي ولت تعد خلفه متوهمة اياه المنهل العذب.

وبقيت أنا جالسة وعيناي قد تسمرتا بلبانة فمقامها قد شمخ في نفسي، ومنزلتها قد علت في قلبي، وصرت أحسبها ملاكا يفيض طهارة وشفافية وبهاء، لقد ملكت روحي ومشاعري واستحوذت عليها استحواذا عجيبا، لقد بدت لي كالنجم يفيض رقة وصفاء، وهذا سحر حديثها الشهي يفوح عنه طيب الهدى والصلاح، وهذه جرأتها الصادقة الوثابة ترفعها عندي الى أعلى موضع.

وما أن انصرف الحاضرات حتى قامت اليها حميدة لتسارها وتناجيها في شأني وعادتا الى بعد حين، والشوق يطفح من جنبات لبانة لتجلس الى جنبي تحدثني جاهدة أن تدخل الانس في نفسي وان لصوتها وحديثها على قلبي لوقعا هو وقع الندى على النبتة التي أوشكت على الذبول من فرط الصدى .

وبقينا معا بعد أن إنصرفت حميدة الى بيتها لا تكاد إحدانا تكف عن النظر في وجه صاحبتها وتبتسم ـ ومضت تكلمني كلام الجهاد والكفاح المقدس لا حديث البهجة التي باتت تشارف على الولوج فيها، وتوشك ان تغرق في سبحات انسها، فنفسها أرفع أن تطلب هذه الاشياء أو تبحث عنها، ولا عن الخطيب الحبيب ولا عن ماله وجماله، ومهنته .

قلت لها مداعبة: أين منك الجهاد بعد اليوم يا لبانة، وأنت مقبلة على حياتك الجديدة، ومشاغل الزوجية التي اتمنى ان تكون سعيدة هانئة .

فقالت ضاحكة:

ـ واين مشاغل الزوجية من صديقتي المطاردة، وهي حديثة عهد بالزواج والقرين الجديد .

ـ اتقولين هذا جادة يا هدى قلت وانا اضحك ولم؟ قالت:

ـ فهل ترين علاقتنا بديننا علاقة ساعة من الزمن او فترة من العمر، او علاقة عبادة نؤديها في اليوم خمس مرات او ذهاب الى بيت الله او اعطاء خمس او زكاة، هل عقيدتنا في حياتنا كأي شأن من شؤوننا نمارس العيش فيه مدة، ثم نستبدل به غيره كما يحلولنا .

هززت رأسي وقلت لها:

هذا اذن ما جعلك في ساعة السرور تبكين وتظهرين للحاضرات بمنظر لايسكن اليه بعضهن او اكثرهن. وهو ما جعلك تحولين الزغاريد والاناشيد الى صرخات وصيحات هداية تهزين بها من الأعماق أرواح المدعوات وضمائرهن وقد جئن ليتمتعن بما حسبن انه قد اعد لهذا اليوم من صنوف الحلوى والانس، وحسنا فعلت فلقد كان زادا ممتعا، وحلوى لذيذة لم يتذوقنها، ولم يأكلن منها في مثل هذه المناسبات، وعاد البعض منهن موفور الحظ من اللذة والسحر، وارجو ان يدوما .

وتوالت علينا ساعات الليل، وراحت سحابته تسري حتى جاوزت نصفه، ونحن بعد ساهرتان بل أرقتان نتجاذب أطراف الحديث حول أمور كثيرة حتى كان للنوم أن يطرق أجفاننا فغفونا.

واستيقظنا بعد حين على صوت طرق شديد على الباب أرهفنا سمعنا متوجلتين حذرتين وهمست لبانة في اذني لا اشك في انهم هم، قلت وانا ارتجف مذعورة.

ـ من تعنين؟

ـ رجال الارهاب.

ـ كيف النجاة اذن؟

قالت بكلمات ذابلة.

ـ هوني عليك سنتسلق بيوت الجيران ونجرب حظنا هذه المرة كما جربيته أنت من قبل فافلحت وظفرت بالسلام من ايدي المجرمين .

واسرعنا نحو سلم البيت وراحت ارجلنا تضرب عجلى مرتبكة على مراقيه، حتى بلغنا الباب الموصد المؤدي الى السطح، ولكن ويا للهول ما رأينا لقد وقف نفران من الجلادين شاهرين السلاح تحسبا لهروبنا وسمعنا احدهما:

ـ ارجعا وافتحا باب المنزل فلا حيلة للهرب ولا نجاة من ايدينا .

وأوشك الدم أن يتجمد في عروقنا وقالتها لبانة كأنها قطع من قلبها المصمى :

ـ لقد حاصرونا فلا مناص ولا خلاص.

ورجعنا ادراجنا وقلبانا ينبضان نبضا متلاحقا قويا وقد خارت قوانا وذبلت اعضاؤنا وجف حلقانا وعلت انفاسنا، وغامت الاشياء امام اعيننا، فلا نكاد نبصر ما بين ايدينا .

فقلت للبانة لولا ما نهى الله عنه من الانتحار لقتلت نفسي الساعة متأبية ان اسلمها رهينة ايدي ألأم الناس طباعا، وأخسهم فعالا، وأحطهم قدرا.

ـ هنا بادرتني لبانة قائلة :

ـ هل قالت مقالك سمية قبل ان تمتد اليها ايدي المشركين او زينب قبل ان تقع في ايدي المردة العتاة؟ سلمي امرك لله.احتملي كل شيئ من اجله .

ويلج المجرمون في ضرب الباب ويعلو صياحهم مزمجرين امرين ان نفتح الباب وظللنا جامدتين لا نحير جواباً اولا ندري ما نفعل، وانطلقت لبانة الى غرفة ابيها لتوقظه من

نوم، وعجلان ما استيقظ فزعا قد أخذ منه الامر كل مأخذ وأوشك أن يسد عليه سبل الرأي، ومنافذ البصيرة، وجمد قليلا ثم قال :

قاتلكم الله ايها الظلمة يا سالبي أمن الناس وسكينتهم ماالذي جنيناه حتى تهجموا علينا في هذا الليل الوادع لتكدروا صفونا؟

هنا كانت ام لبانة قد استيقظت هي الأُخرى على حال لا توصف من الفزع والحيرة والاضطراب وقد ضعفت قدماها عن حملها فهوت قاعدة تدعو الله وتتوسل اليه وتطلب نصره وعونه.

وتتكشف سحب الحيرة على هذا الرهط المؤمن المحاصر، هنا تكلم عبد الرؤوف قائلا:

أرى من الحكمة والتعقل ان أفتح لهم الباب واحادثهم بالحسنى واتعرف على مرادهم فانهم لا شك مقتحمون الدار مغلظون لنا العقوبة.

ويتقدم بخطى وئيدة ثقيلة كأنما ينقلها في الوحل وامتدت يده نحو الباب فكأنها امتدت الى ارواحنا لتخرجها من ابداننا، ولكنه قبل ان يفتحه صاح قائلا من وراء الباب:

ـ نحن افتح الباب بسرعة.

ـ ماذا تريدون في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟.

ـ نحن مأمورون من قبل الدولة واذا اردت قدمنا لك الدليل على ذلك، افتح الباب دون ابطاء والا فان العاقبة سيئة وقاسية.

ـ حسنا سوف أرتدي ملابسي وأخرج اليكم لأذهب معكم.

ـ افتح الباب فاننا لا نريد الا ان نكلمك كلمات معدودة، ثم نذهب لنتركك مع كامل الاختيار التام، تراجعنا حيث تريد لقضية مهمة تخصنا وتخصك.

ـ أرجو ان تكونوا صادقين في كلامكم ومد يده الى الباب فانثالوا كالوحوش الضارية وقد اخذوا علينا كل منفذ في البيت، ثم قال كبيرهم لعبد الرؤوف :

ـ هناك قضية مستعجلة تخص ابنتك لبانة وضيفها هدى سنأخذهما معنا لنرجعهما بعد دقائق معدودة .

ـ هل استطيع ان اعرف تلك القضية

ـ حتى نحن لا نعرف ما هي وما جئنا الا لتنفيذ الامر الصادر.

هل يمكنني ان اذهب معهما؟

ـ لا مانع عندنا فاننا نرحب بالضيوف الأعزاء مهما كثروا وعندنا لهم ضيافة كريمة .

واقبل عبد الرؤوف بوجهه على ابنته قائلا:

استعدي يا بنيتي للذهاب معهم مع اختك هدى وارجو ان يكونوا صادقين في كلامهم.

ويضحك أحدهم متهكما:

أتشك في صدق كلامنا؟ متى كذبنا على الناس أو قلنا لهم غير الحقيقة.

وانتحبت ام لبانة قائلة: وانا ايضا اذهب معكم لا طاقة لي على فراق ابنتي لابد ان أذهب معها.

ويقول احدهم:

ابنتك أمانة عندي فاطمئني .

ـ ومن أنت حتى أثق بك .

لا تطيلي الكلام اما أنت فتبقين وأما ابنتك وأبيها وضيفها فيمضون معنا أفهمت؟

وهنا أمر هذا اللئيم اثنين ممن معه أن يفتشا البيت تفتيشا سريعا فجاسا خلاله ومكثا غير قليل ثم عادا يحملان معهما مجموعة من الكتب عرضاها قائلين:

هذه بعض كتب التخريب التي وجدناها.

وراح هو يقلبها وقد أبصرت من بينها كتب (بنت الهدى) كلها، الاسلام يتحدى، رسالتنا وكتاب المدرسة الاسلامية، وكتاب التربية الاسلامية وما هي الا لحظات حتى كنا ننقل أقدامنا المهزوزة أمام عصبة الشر تشيعنا ام لبانة ببكائها ودموعها ودعائها، ثم اركبونا سيارتهم وانطلقوا بنا مسرعين .

وفي السيارة تحسسنا على رغم الظلمة جسدا طريحا عند اقدامنا، ثم سمعنا انينا خافتا راح يشتد رويدا رويدا، ثم تمتمات خافتة فكلمات شبه واضحة فهمنا منها بعض آيات القرآن وكأن عبد الرؤوف قد ارهف سمعه للصوت حتى تبينه فقال:

دهشا، يا الهي انه صوت عماد ماذا جرى له اي منكر اتى حتى يفعل به هذا الفعل .

عندها احسسنا بصفعة قوية جاءته على فمه تعقبها صيحة .

ـ اسكت يا حمار لا تثرثر .

ولم تمض على هذه الحال أكثر من نصف ساعة حتى كنا قد بلغنا حيث يريدون، ولم ننزل من السيارة حتى كانوا قد عصبوا اعيينا ثم انزلونا واحدا تلو الاخر بالدفع العنيف والسباب والوعيد.

وما هي الا خطوات حتى ادخلونا غرفة ثم اوصدوها وذهبوا، وبعد صمت وسكون يسيرين قلت بصوت خافض :

ـ لبانة هنا.

اجبت على الفور

ـ نعم.

ـ كأن والدك ليس معنا .

ـ لقد فصلوه عنا واخذوه الى مكان اخر.

ـ انني لشديدة الخوف والتأثر.

ـ ان لم ينجك الصبر اهلكك الجزع، وقد نزل بنا ما ترين، فان لم نصبر قتلنا الحزن والبرم، وان صبرنا ظفرنا بأجر الصابرين، ومرت بنا المصيبة بوطأة هي أخف من وطأتها مع التسخط، ومادام كل أمرنا بعين الله فعلام الشجن والتألم، واحتساء كأس الهموم.

ماذا تقولين لو كنت مع زينب في كربلاء يوم عاشوراء ورأيت القوم قد أحاطوا بالحماة والأهلين من كل صوب، ثم قطعوهم بأسيافهم اربا، ثم أحرقوا الخيام عليهن، وعلى بقية النساء الثاكلات، والصبية والصبايا، ثم قادوهن مهتوكات الحجاب، عبر الحشود الغفيرة. تتصفح وجوههن أعين الآثمين، وتنفذ في محاسنهن سهام النظرات الخائنة، انه نهج التضحية والتحمل والعطاء من الرجال والنساء لكل منهم دوره فيه وصبره واحتماله في مصاعبه وآلامه.

وشرف المؤمنة في رضا ربها حتى لو كان في ذلك هتك سترها على أيدي الظالمين، فان ذلك منتهى بذلها لله، وغاية تحملها على سبيله وذلك هو ذروة شرفها وعزتها.

ويطلع نور الفجر ونحن ساهرتان لم يغمض لنا جفن،ولم تكتحل لنا عين بنوم، ولقد رفعنا العصائب عن أعيننا بأيدينا وصلينا صلاة الصبح مع التيمم لاننا يائستان من الحصول على الماء قبل طلوع الشمس،فمن يفتح لنا السبيل اليه والظالمون قد أوصدوا الباب وولوا يعمهون في غيهم وبغيهم، وأجلنا النظر في الغرفة الضيقة الخانقة التي لم تمتد اليها يد التنظيف، وقد امتلأت بريح كريهة لا تطاق، ورحنا نرجع البصر في الغرفة فرأينا عند النافذة عدة قيود أو شكنا ان نرى من خلالها تلك المعاصم الطاهرة التي طوقت، ورأينا على الجدران كلمات خطت بالدم مضطربة مشوشة استطعنا ان نقرأ منها هذه الشعارات ـ

هيهات لن نحيد عن طريقك يا زينب البطولة والفداء .

ـ المجد لك يا سمية يا أول شهيد على در ب الاسلام .

ـ الثائرة القرآنية لا تخاف بل اعداؤها هم الذين يخافون.

هنا تنهدت لبانة قائلة:

هذه احدى الغرف التي خصصت لبنات الايمان يحجزن فيها عند التحقيق، اما بنات الفجور فانهن في شواهق القصور، وقد أكثرن في الارض فسادا، وأضللن كثيرا من العباد، لا رادع ولا منكر يغيّر ولا ناقم يبدل، النظام كله لهن يحميهن، ويذب عنهن، ويكافئهن، ما أروع اولئك اللواتي سبقننا الى هنا فصبرن واحتسبن وتجلدن وتركن لنا من آيات تجلدهن واستبسالهن هذه الكلمات الرائعة تزيدنا صلابة وصمودا، ومن يأتي بعدنا الى هنا من حرائر الحق عزما وثباتا ثم أشارت الى الارض قائلة :

ـ انظري هذه خصل من شعورهن نتفتها أيدي الغواة، وهذه قطع من ثيابهن قد مزقتها سياط الفجار، وهذه دماؤهن كأنها بعد لم تجف تقول:انها ساعات من العناء وتنقضي ثم الى احدى الحسنيين، أما فخر الصمود في الدنيا واما ثواب الخلود والشهادة .

ثم أرهفت سمعها صوب النافذة وقالت:

هلمي اسمعي هذه صرخاتهن تحت سياط القساة الجفاة يستفلون من دينهن فلا يظفرون بطائل، ويساومونهن بخبيث الاساليب وشرها على عهود الجهاد فلا يفلحون بما يرغبون.

ياأله العالمين ما ينقمون منا الا الايمان بك ربا وحاكما، وبكتابك القرآن دستورا وقانونا.

يا رسول الله اليك شكاتنا من هؤلاء الظلمة الذين يرون في مسيرتنا على نهجك جريمة كبرى يعاقبوننا عليها بأخس الوان العذاب .

ـ يا فاطمة البتول اشهدي لنا عند الله اننا على خطك خط الرفض ما ضيات ولن نحيد.

ثم راحت مخيلتي تسرح فيما يجري على اخواتنا في تلك السجون .

هلموا معي في داهية البلاء في في أرض المحنة والبلية حيث الطوامير تعج بالأزاهير، وحيث السجون تتلظى فيها نار الشجون ولهوات الكروب تذيب القلوب، والمعاصم الطهور تطوقها قيود الفجور، من هن هؤلاء القابعات في سجون النظام البعثي الفاسد؟

انهن ربات الشرف ورضيعات العفاف بين ايدي المجرمين يتملونهن كما يشتهون حواسر عاريات اولئك الحرائر غدون نهزة الطامع الحقير.

يا لمكر الزمان كيف تضحى بنات العفاف عرضة للعيون العطشى؟ وكيف تصير بنات الهوى قي منأى عن الابتذال؟

لهف نفسي وليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ولم اسمع ولم ار ما حل ببنات الهدى وهو رهائن الاوصاب يحكين للتاريخ قصة الملم العجاب.

اي رزء تجرعت هؤلاء الصبيات صابه، واي وجع ذقن فاحتسينه محتسبات .

عند بزوغ الشمس علينا وعلى من في تلك الطوامير ونحن مقرونون رجالا ونساءً في اصفاد الطاغية لكننا احرار مادامت لدينا الارادة والعزم تكنفتنا ظلمة الجور البعثي، ولكن بصائرنا منيرة مشعشعة بالايمان، وقلوبنا وهاجة ساطعة اليقين. ننتظر في كل لحظة اسوء الامور، ونتلقى ابشع الضربات، ونسمع اقسى كلمات التجريح التي هي من حق اسوء الخلق، وذنبنا ايماننا بالله العزيز الحميد.

تفتح الباب فيدخل منها نفران كأنما اغشيت وجهاهما قطعا من الليل، عليهم غبرة الضلال، ولبوس الطغيان، قد شمرا عن ساعديهما وراحا يمشيا تغطرسا وكبرياء، ويحدق فينا قليلا ثم يقول احدهما ساخرا-

هيا أُعدت المائدة الستما جاعتين؟.

وعرفناها تهكما واستخفافا ودعوة لنا الى العذاب، ويمدان يديهما الاثيمتين فينتزعان حجابينا ثم يصفعاننا صفعات قوية دار لها رأسي انا، واشتعلت النار في عيني، واضطربت نفسي وفزعت ولعل لي الحق في ذلك فانها المرة الاولى التي أرى فيها ظلم الجناة وبطشهم .

راح الحقير يدفعني بعنف وصلافة حتى أوصلني الى صالة كبيرة وقعت عند صدرها غرفة كتب عليها (الضابط) وحين دخلت استرخى الخبيث على كرسيه ضاحكا وهو يقول:

اهلا وسهلا بضيفتنا الكريمة تفضلي اجلسي .

وسكت قليلا ثم قال:

من الذي انتزع منك حجابك ارجعوا لها حجابها انها مؤمنة، ولا تصبر على عدم الحجاب امام الغرباء لحظة واحدة، ولسوف نرد لها حجابها ونرجعها الى اهلها بعد ان تجيب جوابا مقنعا على بعض اسئلتنا ولسوف لن تتعرض لما تعرضت له سواها من البلاء الذي لم تتوقعه امرأة تحمل عفة الفطرة فضلا عن امرأة مؤمنة متدينة، وسرعان ما جاء احد جلاوزته بمقنعتي فلبستها على عجل عندها قال:

انظري انني لا اريد لك الا الخير وما تحبين فلا تخرجيني عن طوري معك لتتعرضي لما لا تحمد عقباه، بل لما تتوقعينه .

ثم امر جلاوزته المحيطين به الخروج وبعد ان استتموا خروجهم قال:ـ عندي بعض الاسئلة أحب أن تجيبي عليها سريعا أجوبة صادقة ترضيني حتى ترجعي اليوم الى البيت. فلا شك ان أهلك قد ضاقوا ذرعا بمغيبك بين أيدينا لما يظنون من الظنون، ولما يتوقعون من التوقعات.

ثم قال: هل أنت لبانة؟

هنا قررت ان اكذب عليه، وان ادعي انا هي لبانة، فالامر كما يتضح لي خطر، ولبانة حديثة عهد بعقد قرانها، واظنهم قد جاءوا بها لامر خطير وانها لا بد سوف تعاقب عقابا أهونه الاعدام .

فقلت: نعم انا هي.

فقال:ـ انت ايها الغادة الحسناء زوجك لاشك في انتظارك خصوصا وان زواجكما قد تم قريبا جدا اني ليسعدني ان ترجعي اليه هذا اليوم .

فقلت: ـ واين هو الستم قد جئتم به شبيه الاموات الى سجنكم، ولم ارد ان اتمادي في الكذب فاقول واين وهو زوجي بل اكتفيت بالاختصار والتلميح .

فقال كالمستغرب: من قال لك ذلك؟ هذا افتراء.

ـ لقد تحسسناه جسدا طريحا يئن في السيارة التي اركبونا فيها.

ـ انت مشتبهة لقد كان ذلك الطريح انسانا مخمورا وجده رجالنا طريحا على قارعة الطريق فجاؤا به كي نعاقبه .

وهنا ابتسم اللئيم ومد يده الى الكأس التي امامه فتمزز منها ثم نفث ما فيها في وجهي وعاود الكلام .

ـ اطمئني يا لبانة ان زوجك في مكانه بانتظارك لتعودي اليه، وهذا مرهون بصدق جوابك على الاسئلة.

ـ ما هي اسألتك

سؤالي: ما هو دورك وموقعك في ما تسمونه الجهاد في سبيل الله او العمل من أجل الاسلام؟ .

ـ دوري هو دور كل فتاة تعين امها في شؤونها وتعد دروسها. وتعتني بزوجها بعد زواجها .

ويضحك اللعين ساخرا ويقول :

ـ انت عاقلة وسؤالي ليس صعبا لا يفهمه مثلك، اجيبي على سؤالي الواضح ودعينا من اللف والدوران .

ـ لقد فهمت سؤالك وليس عندي من واقعي وعملي شيئ يكون جوابا عليه فليس عملي الا ما بينته لك .

ـ هذا سؤال مهم لم تجيبي عليه، ولن تخرجي من هنا حتى تعطينا جوابه .

سؤال آخر .

ـ كم هن الفتيات اللواتي اصلحت شأنهم وغيرت افكارهن وجئت بهن الى الاسلام .

ـ قلت لك ان مهمتي هي بعض شؤون البيت والدراسة ولا شأن لي بعد ذلك، ثم نحن شعب مسلم ولا حاجة لنا بمن يدعونا الى الاسلام، وان كنت قد تكلمت عن الدين والاسلام فانا امرأة مسلمة تحمل مبادئها وقيمها ورسالتها وليست عدوة لوطنها ولا تريد الا الخير لبنات جنسها .

ـ يعني انك تتكلمين في الاسلام، وتحاولين جر الفتيات اليه .

ـ اقول لك نحن اناس مسلمون وهويتنا اسلامية ولسنا يهود ولا نصارى ولا مشركين، ويبدو لي ان سؤالك هذا غريب جدا.

حسنا ونادى أحد اعوانه وقال :

هات الشريط.

ويدخل الاجير وبيده الشريط ثم يسلمه لسيده ويأخذه هذا الاخير ويضعه في جهاز التسجيل ثم يضغط على زر التشغيل ليسمع صوت لبانة وهي تلقي محاضرتها في احدى جلسات الاقرباء والصديقات بمناسبة ولادة الزهراء .

دقت أبواق المستعمرين، ورفعت لافتاتهم يتباكون على حرية المرأة الضائعة، ورفعوا شعار المساواة والعدالة واضطهاد الدين للعنصر اللطيف .

ثم اندسوا في صفوفنا، وراحوا يقولون لنا ان الدين لا يعدو ان يكون دنيا غيبية يتصل بها الانسان بربه، وعالم شعور يدخل رحابه يتعلق بأذيال السماء ويسامرها وليس من وراء ذلك نهج للحياة، ولا قانون لمسيرة الانسان بكاملها على الارض، وكذلك قالوا ان الدين سبب واهي تعلق به الضعفاء والمحرومون والخائفون ليهونوا من سطوة الالم للضعف والخوف والحرمان، فاذا أتى العلم فسكنت اليه النفس، واطمأن به الشعور، وأمحى به عن المرء ظلام الخوف والضعف فليس له الى الدين من حاجة، والدين كما نعلم ليس هو هذا البهتان الذي قيل عنه بل هو التحرر والانعتاق من رق الالهة الزائفة، والشهوات فلا تجعلهم بهائم سائحة وقد خلقوا اناسا ذوي عقول، ويحررهم من رق المستبدين الظالمين فلا يركبوا على أكتافهم، ويجعلونهم مطايا الى غاياتهم واهوائهم، ويحررهم من الاوهام التي غرقوا في لجها الهائل، ويفتح عيونهم على حقيقة الكون ويدعوهم الى التأمل فيه، واستقصائه بالتدبر والتعقل لا بالسفاهات، وكل هذه امور لا تزال قابعة في الحياة، الاوهام، الظالمون، الشهوات، فجعل الناس اليوم يركعون لارباب شتى واكثرهم يتيهون في مفاوز فيذلون ويشقون وأغلبهم عبيد للظالمين لا يملكون حولا للقيام عليهم، وتحرير انفسهم من ربقهم لشهوة مكينة في نفوسهم هي حب الحياة والسلامة، وهي شهوة حمقاء تفح بالبلاء، فما احوج الناس الى الدين يعيد اليهم الطمأنينة والدعة اللذين فقدوهما بعد النأي عنه والاخلاد الى الارض، فيذهب بهم القلق والكآبة حين يشدهم الى ربهم يجدون في ظله الدعة والبهجة والسعادة، ويجنبهم حمأة الصراع عندهم بين أرواحهم وأبدانهم.

ما أحوج الناس اليوم الى الدين يجنبهم وبال الرأسمالية المقيتة فلا ربا ولا سبل غير مشروعة لكسب المال حتى ولو كانت السلب والنهب والاحتكار والغش والخداع .

ما احوج الناس الى الدين يدرء عنهم دياجي النظم المستوردة التي تدعي المطالبة بحقوق البشر.

ما احوج الناس الى الدين يخلصهم من محن التعصب والوحشية وظلم الاستعمار وكلها متفشية قائمة. العلم بين يديها يسددها ويدلها ويعطيها سبب القوة والمنعة والسلطان.

ما أحوجنا اليه ينقذنا من بلاء هذه الحرب الطاحنة للمطامع والأهواء فيعيد اليهم السلام الذي فقدوه وعاشوا من بعده في الجحيم.

وليست الحياة هي المادة حتى يقال لم يعد للدين شأن فيها فالعلم يكفي وحده يكفي ليسير الانسان فيها فله من علمه بالمادة مقام معلوم، لكن الحياة هي الاخلاق والفضيلة وهي بدونهما شيئ تافه لا يستحق ان يعاش فيه، وكم اناس بلغوا الدَرَك الأسفل في ضياع الاخلاق والفضيلة، ولم يعودوا يشعرون ان للحياة معنى غير التفاهة فانتحروا لبيان ردة الفعل القوية لما جنوه على انفسهم من الاسفاف بها في الهبوط، وكم من امة انهارت لاول بأس يدهمها فأنى لها ان تقوم في وجهه ببأس وهي سكرى من خمرة اللذات والرغبات.

والدين لم يكن دنيا غيب يتصل فيها الفرد بربه بل كان نظاما شاملا كاملا يمشي بالمرء في أيسر اموره وادقها على سبيل قويمة، ونهج سديد يجمع له بين راحة الجسد، وراحة النفس والضمير، فكيف لنا ان نستغني عنه، وان نقول انه قد ذهبت أيامه، وانقضت دولته، والناس في هذا اليوم على ماعندهم من هذا العلم الذي قد خدعوا به قد تخلوا عن العقيدة، ونبذوا المناهج التي يسيرون عليها، واكتفوا بالعلم قائلين انه يكفينا دربا نسير عليه وهاديا يدلنا على الخير.

وهم اليوم في هذه الحرب العوان في عقائدهم العقيمة كل يريد ان يزينها في عيون الناس، ويدرء عنها المثالب والمعايب، ويرمي غيره بالنقص والعجز والاختلال، ويزيّن هذه النظم الوضعية المنمقة التي راحت تصب على العالم من شرورها باسم العدالة والمساواة.

والعلم هذا الهم الجسيم الذي بات يستعظمه الجاهلون، ويصفق له المخدوعون، ماالذي يحله للانسان من مشاكله؟ ومالذي ينجيه من مصائبه ومحنه؟ وهل يأتيه براحة النفس والضمير؟ هل يدفع عنه بلاء الطمع والاهواء ؟ هل يصد عنه رزية هذه النظم الغاشمة وهو قد قام في أحضانها عبدا ذليلا يخترع لها ويعطيها صاغرا من أسباب القوة للظلم ومن وسائل القتل والتدمير، ماالذي يمنحه العلم من الوسيلة ليعيش مع اخيه بالحب والسلام وادعا مطمئنا قريرا وهو لا يعرف الا المشرط والمجهر وما يشرحه وما يدقق في تركيبه من شؤون المادة

؟ بل ما الذي جزم به العلم من حقيقة امور الكون وظواهره الا الشيئ اليسير وبقي الكثير منها يتردد فيها بين نفيها واثباتها، وظلت امور كثيرة لا يعرف سرها ولا يدرك كنهها؟ ما الذي بهرنا من العلم غير اختراعه للصاروخ وتفجيره للذرّة وصعوده للكواكب الى غير ذلك.

نعم اخترع لنا الدمار والموت، فليس يمضي يوم الا ولهم في كل أرض صريع وقتيل، وليس تمر ساعة الا ولهم مجازر رهيبة وما يجري الآن في بلدنا على أيدى مأجورة باعت الدين والضمير هو شاهد على ما أقول.

ان العلم بهذه الطريقة قد امسى عبدا ذليلا لهؤلاء المستعمرين يتكالبون عليه ويتعالون بفنونه، ويخدعون الناس، ويستجلبون قلوبهم بسحره.

ولا اريد ان اقول انه ليس شيئا حسنا ان يعرف المرء كل شيئ عما يحيط به من امور الكون، اننا براء من هذا، ولكننا لا نرضى ان يكون العلم ربا يعبد من دون الله .

ان هذا العلم قد أعمى الانسان عن كل شيئ غير المادة وصهره في جحيم الحواس، واغمض عينيه عن كل شيئ، فكان مع هذا عاجزا ان يلبي للناس حاجاتهم في النفس والجسد، وان يرضي مشاعرهم وأبدانهم، وان يصعد بأرواحهم الى مستقر الرضى، وبأبدانهم الى مكان الارتياح ثم ان الانسان والنظام الاجتماعي اي مكان منه يمد العلم يده فيه؟، وامور النظام لا تخضع للتجربة ولا تقاس بالمقاييس في المختبرات كالعدالة والحرية، وحقوق الافراد، كيف يحددها العلم؟، وكيف يحكم فيها الصواب؟،فالرأسمالي مثلا يقول له الدين: ان في احتكارك ورباك هداً لسنة الحياة او خرقا لناموسها.

لا بل يقول له من فهمه القاصر في هذه الشؤون انه حسن لا ينفعك ويدفع عنك، ويدر عليك، ولكن النظام هو الذي يقول ان العدالة والانسانية غير الربا والاحتكار، وذلك الفرد كان في قفار الفجور، واكتوى بنار الرذيلة قد يقول له العلم ان شأنك هذا لا ضير عليك منه لانه يجلب لك المتعة واللذة، ولكن النظام الاجتماعي يقول له:(ان هذا سقوط لك ولمجتمعك).

كان المحقق يسمع فيتحرك كمن يأزه صليل مرجل وما ان تم الكلام حتى صاح مغضبا :

حقيرة، معادية، تود ان تصبح وزيرة لدولتها الصدرية .

ثم يشتد ويقول حانقا:

صوت من هذا؟

- صوت لا أعرفه .

- تنكرين اذن .

- نعم انكر ذلك فهذا ليس صوتي .

فقال وهو يتذمر ويصيح بمعاونيه :

- يا رعد اين الشريط الذي يحمل محاضرة المناضلة لبانة .

فيأتي الاخر مسرعا وهو يقول :

- هو ذا يا سيدى .

- ليس هو انه صوت آخر أبحث عنه .

- انه هو لم اخطأ. ثم يقول ساخرا:

- هذا ليس صوت الآنسة بل صوت أحدى المناضلات .

- إذهب وفتش عنه وآتني به فورا ولا تذهب الوقت سدى.

ثم التفت اليّ وقال:

اظن انك فهمت حسن نيتي حين ارجعت لك حجابك فأنا لا أريد لك الا الخير، اجيبي الان على اسألتي

- كم مرة حضرت دروس بنت الهدى، وكم مرة ذهبت اليها في النجف .

ـ لم احضر لها ولا درسا واحدا ولم أرها مطلقا، نعم قرآت بعض كتبها .

ـ بل قولي كلها .

ـ نعم كلها فليس في ذلك ضير فانها قصص مسلية وهادفة تهدف الى بناء الفرد والاسرة الى غير ذلك، وهي ليست كقصص فلان وفلان مزابل أخلاقية تشيع الرذيلة والفاحشة، وكأن الدنيا لا شيئ فيها الا تلك التفاهات .

ـ قرأت كتبها وتأثرت بها .

ـ اذن لم لم تزوريها وتتعرفي عن كثب اليها .

ـ كان يمنعني من ذلك مشاغل كثيرة وليس من يتأثر قراؤه بكتبه يزورونه ليتعرفوا عليه

ـ ويضرب بيده على المنضدة أمامه ويقول بعصبية ظاهرة:

ـ انت تجيدين المراوغة ولا تفهمين غير أسلوب الشدة، ولكن اذا اجبتي على سؤالي الآتي كان ذلك شافعا لك عندي.

اذكري عشرة اسماء من صديقاتك اللواتي تربطك بهن علاقة حميمة .

صمتُ حينا وبدا الاضطراب عليّ ثم قلت :

ـ عندي خصلة اتميز بها عن كثير من سواي من الفتيات وهي خصلة الانطواء والعزلة. ولذلك ليس في مقدوري أن اتخذ الصديقات او أن اقوم بالزيارات لمثيلاتي .

ـ حسنا وما علاقة هدى بك اليست من صديقاتك؟

انها ضيفة لدي لا أكثر لأننا نشأنا في محلة واحدة وكانت تربطنا علائق الود منذ الصغر لا أكثر من هذا .

وهنا صرخ الضابط محتدا:

ـ أنت بهيمة لا تفهمين غير منطق العصا وصاح بجلاوزته قائلا :

ـ دونكم هذه الفتاة المناضلة التي لا تريد أن تعترف.

وانقضوا على كالذئاب العاوية أحدهم مد يده فخلع قناعي، والآخر جرني من تلابيبي بعنف، وراحو يعنفونني ويضربونني حتى أخرجوني،ثم أدخلوني الى غرفة مليئة بأداوت التعذيب لأختار منها ما اريد لتعذيبي .

ـ هيا انتخبي ما يحلو لك من هذه الأجهزة.

الامر محير جدا، لاتعجبوا هذا ما حدث لي فعلا، انه شيئ لا يمكن تصديقه.

الغرفة مليئة باجهزة التعذيب الكهربائية المتنوعة، وكلها في خدمة الشعب، هم لديهم مطلق الصلاحية في ان يفعلوا ما يشاؤن. انهم كجنود جهنم لا يعصون مايأمرهم به الطاغية فلهم حق في انتزاع قلبه، وكبده، قطع يده، قلع اظفاره، وعند ذلك يضربون عليه حصارا من الالم الذي لا يعرف مداه الا الله، فكم بهذه الاجهزة احرقت جلود وسفكت دماء وهدمت بيوت .

وماذا لو امتنعت عن الاختيار هل يتركونني؟ انهم سيعرفون كيف يعاملون امثالي، وكم انتزعوا من المعلومات بهذه الاجهزة المستوردة خصيصا لاهل لا اله الا الله. في بلد يدعي انه من اهل هذه الكلمة .

لابأس سأختار منها واحدة لعل فيها نجاتي بصعقة واحدة من صعقاتها، واسأل الله ان يساعدني على تحملها ان انا بقيت حية، وان لا افتح فمي وابوح بما عندي، او اعطي الدنية من نفسي.

ثم قال: هيا يا مدللتي الا ترين اني ارفق بك ولا احملك مالا تطيقين هيا انتخبي من هذه الاجهزة جهازا لتعذيبك ولاستلال المعلومات منك، اظن ان لسانك لا ينطلق الا بالصعقات الكهربائية، سنصعقك كما صعق موسى واصحابه فتابوا .

لم يعجبني هذا الاستهزاء فقلت: اتق الله في انبيائه ولا مجال للتشبيه هنا.

يالك من مرشدة واعية تخافين الله، الا ترين انك تخرجين على سلطانه في وليه القائد صدام حسين.

سكت وقلت في نفسي جاء دورك يا هدى هيا تحملي واصبري .

اشرت الى جهاز صغير وقلت: هذا

قال: كم انت صديقة ممتازة لا تريدين إتعابنا، فهذا الجهاز هو مفتاح الافواه التي لا تتكلم، هيا يا مدللتي تعالي هنا وانهال علي بالصفع اولا.

لا ادري بماذا شعرت عندها، انها صفعات ادارت الارض بي واحسست انني اترنح من شدة الالم.وكان منه ما اغاضني والمني وتمنيت الموت فيه. لقد تجرأ هذا الحقير وتجرد من كل معنى للانسانية، فمزق ثوبي وهذا الفعل من اشد الامور ايلاما على نفسي من كل ما حدث لي من تعذيب. فكيف بامرأة محافظة ترى نفسها بين يدي لئيم جاف يسومها سوء العذاب باعتى انواعه، لقد تمثل لي حينها وحشا في ثوب انسان.

صاح باعلى صوته: لا مجال للنقاش ولا للصراخ فانت الان يا.. بين يدي جبار عنيد .

استغثت بالله وانا ارى نفسي بهذه الطريقة وقد رحت شبه عارية وهذا اللعين يتملاني بعينيه الحقيرتين، لم يمهلني، اخذ الجهاز الكهربائي فعلقه في حلمة الثدي، وما ان اتصل بي هذا الجهاز حتى اغمي عليّ فلم أعرف بعد ذلك ما جرى عليّ في ذلك المكان، وحين أفقت وجدت نفسي ملقاة بين صواحبي من المعتقلات من أصناف شتى .

كانوا لشدت جرائمهم لا يعرفون كيف يديرون الامور، فهم كالذي يتخبطه الشيطان من المس، يترنحون، يتمايلون، يزعقون، يصيحون كحيوانات مفترسة، يمشون فنحسبهم يمشون على اكبادنا وعيوننا، واقل ما يمكنني قوله ان قلوبهم مليئة بالاضغان، قد لبسوا لباس الادميين الا انهم يفعلون افعال الشياطين، يتحينون الفرص علينا كي يذيقنا حر الوبال، يبثون حبائل المكر، وينصبون شراك الباطل.

كنت احسب هذا الصياح هو صياح ضمير الانسانية المعذبة الممسوخة، والا فلم كل هذا الحقد والبغض لاناس لم يروا منهم ضررا، لم يعذبون اخواتهم في الوطن؟ وبارادة من يفعل ذلك؟ كيف يعذب رجل امرأة ضعيفة لا حول لها ولاقوة ولم تثبت عليها اي جنحة .

في الواقع انها ارادة شخص ذبح الرجال والنساء على السواء .

والان انا في هذه المتاهة، بين الكثير من النساء والاطفال، فيهن الشابة، اليافعة، المسنة التي لا تعي من امرها شيئا.

هناك وجدت لبانة، لم اعرفها في بادئ الامر فقد تشوهت معالم صورتها الجميلة، لقد كانت ملقاة مثلي تئن من جراحها، الامها، وهمومها، نظرت اليها والى ما حصل لها لقد بدت اخرى فقد تورم وجهها بالكامل، وقد غطت اثوابها الدماء، الهي كيف حصل هذا انها تبدو كشبح من الاشباح المتهافتة.

وهي بدورها لم تتعرف اليّ فانا ايضا شريكتها في هذا السباق، فقد غدوت مثلها الا انني لا ارى وجهي كما تراني هي. هي تعجب لحالي وانا اعجب لحالها، وكلتانا قد اصبحتا طريحتي هذا المأزق .

وكلمتها بعيني فرأيت في وجهها عتاب، وفي عينيها استفسار وألم، انها تساءلني عن السبب الذي ادعيت فيه باني أنا هي لبانة. وهذا ما سيوقعني ويوقعها في غضب المسؤول ان عرف كذبتنا .

يا الهي كيف لي ان اشرح لها الموقف ليتها تقرأ بنات أفكاري، ليتها تعلم غيب نفسي، انها تلومني على ذلك ولا تدري ماهو السبب الذي جعلني ادعي انني انا لبانة.

وعرفت بعد ذلك ان لبانة حين اتوا بها الى الضابط متوهما انها هدى لم تنكر بل قالت:

نعم انها هدى فاعلمها انه يعلم اين كانت، والى اين ذهبت كذبا، والواقع انه ليس لديه اي اطلاع بذلك، بل ادعى ذلك ليثبت لها انهم يعلمون كل شيئ، وان صديقتها لبانة قد اعترفت لهم بكل شيئ، وانهم قد اسمعوها صوتها وهي تلقي احدى محاضراتها الاسلامية،

وبهذا عرفت لبانة انهم لا يعرفون شيئا، وليس لديهم صور لهن، ولذلك انطلت عليه كذبة هدى بادعائها انها لبانة، ولكثرة ما يقومون باعمال مشينة قد يغفلون عن كثير من الامور، ظلت قضية التسجيل الصوتي معلقة. وكأنه اغفلها او تتغافل عنها.

هذا ما يقلق لبانة ويقلقني، هل سنظل في منأى عن الرقيب الذي لا تنام عيناه، ولا تغفل اذناه؟، الله هو العاصم.

وكان مما جرى على لبانة انها عذبت أشد التعذيب لتعترف على صواحبها، وتعترف على صاحبتها لبانة كما توهموا الا انها لم تبح لهم بشيئ، وكل ما فعلته هو اعطاؤهم أسماء لبعض البعثيات، وبعض العناوين ولو زورا، وهي تعلم أن هؤلاء الفتيات لن يصيبهن اذى، ولن يعتقلن، وبذلك أرجعوها الى المكان الذي كانت فيه لتلتحق بمن سبقنها الى الزنزانة.

قالت لي وهي تضحك:

لقد كنت اذكر له اسم احدى عميلاتهم وهي تدعى (منى علوان)، فقال لصاحبه: اكتب (منى عطوان)، وهكذا الاخير كتب ذلك الاسم بهذه الطريقة، وكرر الاسم على صاحبه خطأً.

قلت لها: اخشى ان ينفضح أمرنا ويعرفون انا كذبنا عليهم عند ذلك سوف نصلى بنيران تعذيبهم .

قالت: ومااللذي سيحصل هل الا الموت، كلنا معرضون له، وهل جاء هؤلاء بصكوك البقاء وعدم الموت، سيموتون وسيلاقون جزاءهم العادل، كما نال من كان قبلهم من الطغاة جزائه .

- ارجو ان يسلمنا الله من شرهم.

كان في الزنزانة التي نحن فيها مجموعة من النساء فيهن حتى البغيات، وكنا نعيش الالم باشده ونحن نرى انفسنا بين هؤلاء الفاجرات ومن المتيقن لدينا ان هؤلاء الفاجرات عميلاتهم في السجن قد بثوهن لمراقبتنا والتجسس علينا.

ان تلك الايام والليالي كانت اياما فريدة قُدت من كبد المعاناة التي لا نظير لها ولا مثيل، حرائر مؤمنات يقبعن في سجون مظلمة بين اوباش مسخوا قردة وخنازير، فهن بين ايديهم وطوع بنانهم ان شاءوا رحموا، وان شاءوا عذبوا، يمشون على الارض مرحا وخيلاءا، ويحسبون انهم يخرقونها بوقع اقدامهم الخبيثة، ولكن هل هذا الذي اراه واشاهده هو يحكي واقع حالهم؟ ام ان هناك بركانا رهيبا يثور في كل لحظة في اعماقهم فيكبته خوف السلطة وفوات المنصب؟، فهم لم يأتوا من شقة بعيدة، ولم يخلقوا من حجر اصم، انهم بشر وللبشر طباعه وعواطفه، الا ان تموت تلك الطبائع، وتدفن تلك المشاعر.

والقصص هناك والذكريات لا تعد ولا تحصى، وليس في مقدرة حافظتي التي تعرضت لذلك الاذى ان تسعفني الان وتأتي لي بتلك القصص والصور المفزعة، صور لاحياء يتنفسون الا انهم كالاموات، فالوجوه قد كلحت، والشفاه قد ذبلت، والبطون قد ضمُرت، والاجساد قد هزلت، الا ان فيها شيئ واحد ينبض ويتعالى نبضه بالحياة انه العقيدة الراسخة التي حوصرت وحوربت، من قبل بغاة وجناة. وليس باستطاعة ظالم ان يستأصل هذه العقيدة التي عقدت في شغاف القلب المؤمن الذي عرف ربه، وصدّق ما وعده، واستبشر ببيعه الذي بايع به،وعلم ان لاخوف عليه من بعد هذا المحك ولا صخب ولا نصب ولا حزن، فراحت جنان الخلد تتراءى لعينيه كمطلع الصبح، او كشروق الشمس. فما هي الا ساعات من العسر تتبعها ترادف النعم، وفيوض الالطاف.

القلوب تشع في صدورالسجينات الرساليات بنور وضاء، نحسه بهيا مشرقا كرأد الضحى، او باسما كطلوع الفجر، او نديا كانفاس الربيع وتعود بنا الذكريات الحلوة الجميلة الى مطلع الحضارة الاسلامية ومدافعيها وباذلي انفسهم من اجلها، فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون. ويسمعون نداءا حالما رقيقا مواسيا يأتي من الزمان القديم:(صبرا ال ياسر ان موعدكم الجنة).

من تلك الصور التي رسخت جذورها في قلبي مشهد احدى الاخوات الرساليات اللاتى فقدت عقلها من شدة التعذيب فقد جاءوا بها الى المشفى وهى حديثة عهد بولادة، ولا زال صغيرها فى المشفى، وكانت قد تعرضت فى السجن الى اشد العذاب مما جعلها تفقد صوابها

فكانت تمشى عارية، وتمثل مشهد ام ترضع طفلها وتناغيه، وكنا نبكى لالم هذه الام اكثر مما نبكى لانفسنا، اذ ان هذه الام الرسالية قد جُنت بسبب ما لحقها من التعذيب، ولكن ما سبب مجيئها الى هذا المكان ولمَ عُذِبَت هذه الام الحامل؟وما هو السبب الذي جلبت من اجله؟ الحق اقول لكم: لا لشيئ ابدا، انها زجت في السجن لان زوجها المتهم بنظرهم كان خارج المنزل حين جاءوا للقبض عليه فأخذوها رهينة مكانه، وحين علم باعتقال زوجته جاء وسلم نفسه ليخرج امرأته، الا ان المصاب قد حدث ولا حيلة للحؤول دونه، فقد مات الصغير في المشفى، وجُنّت الام. وكان من أمر الزوج أن استشهد تحت التعذيب، فاضطر الجناة الى تغييبها في السجن، الى ان يجدوا الفرصة المواتية للتخلص منها.

وهناك نسوة جيئ بهن مع اطفالهن لان اقاربهن قد اعُترف عليهم من شدة التعذيب من قبل اصدقائهم ففروا، فلحق المجرمون بالعوائل فاتوا بهن كأسيرات، فوضعوهن في بناية مدرسة مع الأطفال، ثم جاءوا بهن الى السجن، وكان صراخ الأطفال الجائعين يعلو كل حين يفت الاكباد، كيف لي ان احتمل صراخ طفل يطلب الطعام ولا اقدر على تأمينه له؟ وانا اعلم ان لاهجوع مع الجوع.

فاين هي منظمات ما تسمي نفسها حقوق البشر من هذه المهزلة الفظيعة التي تحدث في هذه الطوامير، هل مات الضمير العالمي؟ هل يرون او يسمعون هذه الصرخات وراء هذه الجدران؟، ام انهم هم من طالب باعتقالنا وترويعنا حفاظا على سلطانهم؟، ام نحن لسنا من البشر الممتاز الذي يحق له العيش الكريم؟.

كنت اطلب منهن اسكاتهم، فتجيبني والدة الطفل :

انه جائع. فالجوع قد فتّ كبده، لقد كنا في مكان آخر، لقد حبسونا في مدرسة وفي احد الصفوف، واغلقوا الباب علينا، ولم يدعوا احدا يخرج حتى لقضاء حاجته، وعندما طلب الصغير الذهاب الى قضاء الحاجة لم اجد شيئا اجعله وعاء لبوله فجعلته يبول في الاناء الذي معي، والاسوء من هذا انني سقيته ذلك البول عندما استغاث من العطش، فهل تصدقين؟!!

وكنا نقول للحرس الذي وكل بنا ان الغرف كثيرة فدعنا نتفرق في تلك الغرف، فان هذه الغرفة لا تسعنا ومعنا رجال كبار وصغار رضّع فقال وهو يتألم (ليس الامر بيدي ولو كان بيدي لاطلقت سراحكم).

وقضية اخرى تغوص ذكراها في أعماقي، قضية تلك الفتاة التي جاءت في ليلة زفافها مع زوجها الى السجن، وتبين فيما بعد انها حامل وقد حكم عليها بالاعدام، وكانوا ينتظرون وضعها ليعدموها، ويا لروعة الايمان، يا لروعة الفداء من اجل العقيدة، انها كجبل اشم، تترقب الموت بكل سرور بل تشتاق اليه، وتود لو حانت اللحظة التي ستلتقي بها بمن تحب، وكأنها تعاين ذلك حق اليقين. كانت تقول اليس هذا الذي يحصل لنا امنية كل مؤمن يريد الخلود في الدارين؟ اليس هذا ما تسمو اليه الهمم، وترنو اليه الابصار، وتمتد نحوه الاعناق، وتطمح اليه النفوس العالية، اليس هذا من مواطن البشرى والشكر؟ هل هناك عزة تضارع هذه العزة؟ وجلالة تساوي هذه الجلالة.

شيئ واحد كان يقلقها هو ذلك الجنين الذي في احشائها ومصيره .

وجاءها المخاض وهي في الزنزانة بيننا نحن مثيلاتها وشريكاتها في الاذى والمحنة، ولا يمكننا فعل شيئ لها، صحنا على السجانة فجاءت وهي متبرمة متسخطة لاننا ازعجناها في هذا الوقت.

اخذوها الى المشفى لتضع مولودها، وعادت الينا بعد يوم واحد الى الزنزانة مع الطفلة، فارادت ابعادها عنها قدر الامكان لئلا تكون عاطفتها سدا امام نيلها الشهادة فتضعف لما ترى من صغيرة تحتاج الى امها فتطلب صفحهم وعفوهم عنها. فطلبت منهم ان يبعثوا خلف ذويها فأبوا عليها، وقالوا لها بغضا وكفرا:

نحن سوف نربيها على مبادئ الحزب، ولن ندعها تسلك طريق المجرمين، وكانت ساعة اللقاء الذي انتظرته، ساعة ان تلتقي بالاحبة وتسرح في رياض عدن التي وعد الرحمن عباده.

وذهبوا بها الى الاعدام وهي واثقة الخطى، ثابتة الجنان، تنظر الى طفلتها بين ايديهم وتقول (حسبي الله).

وبعد ان تم اعدامها ارسلوا الى أهلها وأعطوهم الطفلة، وقد فعلوا ذلك ايغالا في الأذى لمن ساروا على درب ذات الشوكة .

ومضت بنا الايام لا ادري كم هي فقد صرت لا اعرف اسم اليوم الذي انا فيه ولا الشهر، بل كل ما اعرفه انني هنا انتظر الموت مع بقية السجينات، عيوننا مرهونة بهذا الباب،وهذا السجان والسجانة، نسمع اقوالهم الجارحة وعباراتهم القبيحة، واستهزائاتهم السخيفة، نأكل طعامهم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، حبات من الفاصوليا صب عليها ماء صبغ بمعجون الطماطم، ولا ندري اهو طعام حلال ام حرام؟ الا اننا والحق اقول عشنا في ذلك المكان عيش عارف بربه نسي الدنيا ومن فيها، اشتد تعلقنا بالله، استمر الحاحنا عليه بالفرج لامتنا التي تعيش المحنة بكل انواعها وتفاصيلها، يحوط بها جنود كشياطين الجحيم، وحوش كحيوانات مفترسة، ويلح علينا سؤال يقول: لماذا يعيش المؤمنون تاريخ اخوتهم القذة بالقذة؟

ابتاه ماذا قد يخط بناني والحبل والجلاد ينتظراني

وفي احد الايام وانا اتوقع الاسوء وقد اعددت نفسي للجولة القادمة دخل علينا الجلاد ويدعونه (مناتي) ولا أدري هل هو اسمه ام اسم مستعار؟(...). وهو يقول:

- اليوم سوف نفرج عنكن بامر من السيد القائد. على رغم عقوقكن وجحودكن فهو رحيم ببناته ويريد لكن الرحمة، فعليكن الشكر والتقدير لسيادته.

طبعا هذا غير معقول ولسنا مصدقين ما قال.

- الان نريد منكن ان توقعن على بعض الأوراق حتى تخرجن من السجن.

قلت في نفسي: يالله ماذا سوف يلحقنا من هذه المكيدة؟. ماذا سنكتب بهذه الاوراق؟ وماهو التعهد الذي علينا اعطاؤه؟

وماذا يمكن ان يحصل بعد هذا هل يهددوننا بالاعدام او ما شابه الاعدام، من رمي في التيزاب، وخنقا حتى الموت، او اعطاء السم القاتل، التعذيب حتى النفس الاخير؟، كل هذه الامور عرفناها وقرأناها وهي ليست مستحدثة، بل في صلب تاريخ الجناة.

استدعوا لبانة التي هي انا كما ادعيت سابقا فاردت الذهاب الا ان لبانة رفضت هذه المرة وقررت ان تذهب هي وليحدث ما يحدث فسوف تنكشف كذبتنا عاجلا ام آجلا، ولم استطع في ذلك الجو المشحون ان اقنعها فاستسلمت لامرها وسكت، ويمكنكم تصور ما يدور بخلدي وخلد لبانة وهي ترى نفسها بين هذه الشرذمة القذرة، وماذا سيحل بها من جراء تلك الكذبة.

اسلمت امرها الى الله وذهبت ولسان حالها يقول:

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا

بالطبع السجان لايدري ما القصة.

بقيت بعدها واجمة حائرة يسرح فكري في مسارح شتى وكلها تصور لي الموت باشبع صوره .

ياالهي ماذا سيحصل للبانة؟ وماذا سيكون مصيري انا التي ادعيت انا هي لبانة؟ قد تمر على الانسان لحظات ضعف فينهار او يضعف امام صعوبات عسيرة مثل تلك التي نتعرض لها، وكم تكون مؤلمة بالنسبة الى نساء رساليات محافظات، محتشمات، يتحرجن من النظرة والكلمة .

مضت الدقائق بل السنين حسب ما يصور لي ذهني، احسب ان عقارب الساعة قد توقفت وان الشمس لا تريد الافول مطلقا، ولا أدري كم مضى من الوقت وأنا جالسة حائرة مضطربة تنتابني الهواجس من كل مكان.

وهكذا مضت مدة من الزمن، ولم تعد لبانة، وجاء الليل وانا أنتظر الا ان صاحبتي ورفيقة عسري وهمي لم تعد.

لم أنم تلك الليلة ولم يطرقني طارق الا طارقا الهم والقلق الذي راح يساورني في شأن صديقتي. والاسوء من هذا انني رحت الوم نفسي على فعلتي، وان السبب في كل ما سيحصل لي وللبانة هو في تلك الكذبة التي هي في الواقع تضحية خلناها قد تمر بامان.

واصبح الصباح ولكن لم يتغير شيئ، ياالهي أتراهم فعلوا بها الأفاعيل فماتت حينها؟ أتراهم عذبوها حتى اغمي عليها فذهبوا بها الى المشفى، اتراهم ساوموا خطيبها على الاعتراف مقابل تركها وشأنها؟ كل هذه تخطر في بالي وتؤرقني بل تقتلني.

في تلك اللحظات الحاسمة فتح الباب علينا وقال:

اين من تدعي انها لبانة؟

صعقت لسماع الكلمة، لقد عرفوا القصة، وسوف اتعرض لكل سوء، سوف يسومونني سوء العذاب، وكان دعائي هو ان اصمد امام ضغوطهم ولا اعترف على احد من رفيقاتي واسبب لهن الاذى فانا في غابة للحيوانات المفترسة. ستفترسني كما افترست غيري من رفاق الدرب .

قلت: انا هي.

قال وهو يصرخ: هيا تعالي ايتها الخبيثة.

جرني من شعري وسحبني الى الخارج وهو يصيح بصوت عال، بل صوت كأنه صوت الحمير، لقد كنت اشبه بنعجة يراد ذبحها، اظن ان القصابين احسن حالا من هؤلاء. فهم يحسنون طريقة الذبح، ويستقبلون القبلة حين الذبح، لم يمهلني حتى اصل الى المكان الذي يريد بسلام، بل راح يصب حقده ولؤمه عليّ. وبادرني بالصفع والركل. وكان بوده لو مزقني باسنانه .

ادخلني غرفة الضابط التي اظنها غرفة الشيطان الاكبر، فقد كان نذلا وقحا بذيئا، يتطاير الشرر من عينيه، تحسبه برأس شيطان، وجثة انسان، هنا لاح في ذهني قوله سبحانه: (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ)، انه يترنح يتهادى غرورا وتيها ولا لشيئ مطلقا. والذي اعتقده انه العذاب الذي يأكله ويحطمه حينما يرى امرأة تصمد امامه وتدافع عن مبادئها رغم كل الاذى الذي يصب عليها .

وما ان رآني حتى قال ساخرا:

اهلا بالفدائية الاولى، انت بحاجة الى من يخلد اسمك في قوائم المضحين.

قلت وانا اتصنع العجب: ماذا تقصد؟

ـ اقصد كم تحبين صديقتك، ومن اين تعلمت هذا الفداء، وهذه التضحية؟ هل هي مبادئ الحزب الذي نظمكم؟ يالك من بطلة، سترين ما هو عقاب من يضحك منا، ويهزأ بنا.

تجاهلت كلامه وقلت: لا ادري ماذا تقول.

ـ تعرفين ياهدى انك كذبت علينا، وانك اردت ان تكوني الضحية مكان صديقتك الفاضلة، ولكن هذا لايخفى علينا، وحتى وان انطلت لعبتك لمدة من الزمن فها انت ترين اننا اكتشفناها .

الان عزيزتي المناضلة اريد ان اسألك بعض الاسئلة واريد منك الجواب الصحيح، ولعل جوابك ينجيك مما ينتظرك من مصير اسود. ثم انك باجوبتك سوف تخدمين امتك، وسوف نستطيع القضاء على المخربين الذين يريدون تسليم البلد للاجنبي، بتعاونهم مع عناصره اللئيمة الخمينية، واسألتي يا هدى او يا لبانة هي بسيطة وسهلة ويمكنك الاجابة عليها.

اتعلمين انا لم اسمع بهذا الاسم من قبل ولا اعرف معناه، بالطبع هذا ليس مهما فانا اريد ان تجيبي على ما هو ضروري من اسئلتي البسيطة جدا:

اين تعرفت على لبانة؟ ولماذا كل هذه التضحية من اجلها، اتخافين على عنصر فعال في الحركة؟.

ام انك اردت ان تكوني المرأة النموذجية في العمل؟.

انكن بطلات التاريخ كما يلوح لي، من قال لكن ان الدين يرضى بمثل هذه الاعمال وخاصة من النساء؟ الستن من امرهن القرآن بالجلوس في بيوتهن، والان انتن تخرجن الى الشوارع، وترفعن الاصوات بالشعارات، فهل هذا يجيزه الاسلام الذي هو دينكن. هيا تكلمي واجيبي عن كل ما سألتك والا...

ـ تعرفت عليها منذ كنا نسكن في حي واحد.

ـ لم تريدين ان تحميها منا؟

ـ لم ارد شيئا الارضا الله.

هذا تنمر كمن نفذ صبره، وراح يصيح:

ـ ماذا تقولين رضا الله؟ وهل يرضى الله ان تعرضي نفسك للخطر من اجل غيرك؟

ثم صاح على جلاوزته:

ـ خذوها اليكم واكسروا شوكة عنادها وكذبها .

ويدلف ثلاثة اخرون فيفعلو بي ما فعلوه بلبانة وراحوا يجرونني بعنف، وهنا وصل الى سمعي صراخ لبانة وصيحاتها الله اكبر.

ـ ايها الجناة الويل لكم يا طواغيت العصر .

اوصلوني الى جدار ثبتوا عليه مسامير سميكة على ارتفاعات مختلفة ثم شدوا يدى من الخلف وحملوني فعلقوني منهما في المسمار الاول فصرت في اسر مطلق يداي قد ارتفعتا من خلف مثبتتين في الحائط وقد صرت امامهم وجها لوجه لا أجد دفاعا عن نفسي بشيئ.

علي ان اتقي بوجهي سوء العذاب، وتذكرت الاية القرآنية التي تصف عذاب المجرمين يوم القيامة وكيف يشدون ويربطون ولا يجدون ما يدافعون به عن انفسهم الا وجوههم التي بقيت بدون قيود. فذهب عني الروع حيث لاح لي ان الله سوف يعاقب من يعذبنا ونحن لم نفعل ما يسوءه، ولم نرتكب جرما ولم نقترف اثما. وسوف لا يجازينا سبحانه ان صبرنا ببشارة في الدنيا والاخرة، في الدنيا شهادة يحسدنا عليها حتى جلادونا، وعاقبة كريمة وعدها الله الذين امنوا ان لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ.

يارب يا خالق الاكوان يامن انقذ يوسف من الجب وجعله بعد العبودية ملكا، يامن وقى مؤمن ال فرعون سيئات ما مكروا نجني من هؤلاء بان تشد على قلبي بالثبات.

يا رب ايرضيك هذا ان بيوت الدعارة تحمى وتحرس، وتحاط بالجنود، وبنات الايمان في سجون الظلمة مقيدات مضطهدات، يعانين سوء العذاب .

كلها خواطر مرت في ذهني بلمح البصر، ومخي يبحث عن جواب لمن راح يسألني ويريد جوابا مني، وانما شاردة الذهن عنه اسرح في ميادين احد وحنين .

صاح بي هذه المرة وهو متأكد انني شاردة البال قد نسيت ما انا فيه .

هنا اندفعت وقلت أنا مصابة بمرض الروماتيزم الذي سرى بدوره الى قلبي وان في فعلكم هذا قتلي.

قال الاول ساخرا متهكما: ايها الاخوة راعوا حال المسكينة في مرضها واياكم من قتلها فان ديتها ثقيلة فانتم في الاشهر الحرم، قال هذا وهو يغط في الضحك، ثم انهالت عليّ الضربات والسياط وكان أشدهما ما كان يلهب وجهي بحر ناره، واستمر الضرب طويلا وعلى فترات متناوبة، وبين كل فترة يأتون ليعاودوا التعذيب معي، وهم يضحكون ويصيحون اعترفي، اعترفي.

لقد استعملوا معي كل أنواع السياط ودرجاتها حتى جرى الدم غزيرا من وجهي وجسمي وصبغ بلونه القاني كل ملابسي. ثم لم اعد احس باي الم فصرت كمن شرب مخدرا.

فقال احدهم:

ـ خبيثة عندها قدرة على التحمل والمقاومة لا تموت ولا يغمى عليها، وفهمت من ذلك اشارة منه بتصنع الاغماء .

عندها تصنعت الاغماء فانزلوني من مكاني ووضعوني على الارض، ثم راحوا يرشون عليّ الماء، وشعرت ببرده، فأوشكت أسناني ان تصطك، واقشعر بدني وصرت ارتجف فظنوا انها انتفاضة ما قبل الموت فجاءوا بالقناع فوضعوه على رأسي، واسرعوا بنقلي بسيارة الى المشفى.

لم اشعر الا وانا بين جلادي على تلك الحال، ادخلوني المشفى ليلا فرأيت هناك مجموعة من المرضى ينازعون الموت ويجهدون في ذلك جهدا بالغا ينتظرون مراجعة الطبيب الخفر، وحين رأوني عجبوا لحالي وكأنهم نسوا ماهم عليه من الاذى، ادخلوني على الطبيب وراح يحدق في وقد عرف اني مريضة بمرض خاص اسمه الجلد والعذاب الشديد، وقد قرأت في نفسه كلمات يريد ان يقولها لكن الخوف منعه ذلك، ودون ان يتكلم امر لي بحقن بالوريد وبالعضلة وجاء أحد الجلادين الذين جاءوا معي وقال:

ـ هذه الفتاة تدعي انها مصابة بمرض القلب نرجوا التأكد من ذلك، واقبل الطبيب وعاود الفحص ثم صمت لحظات وهو يسترق النظر اليّ نازع نفسه فيها من ان يقول الحقيقة او ينفي ذلك فقال:

ـ انها مريضة، وينبغي توفير الراحة لها فان تكرر ما حل بها سيميتها.

عدت الى زنزانتي وانا ملطخة بالدماء، منهوكة الاعضاء، تخالني شبح من الاشباح لما بي من شدة الضعف والوهن. لم اكن اتوقع انني استطيع تحمل كل تلك السياط، واللكمات من ايد لا تعرف الا البطش، ومن السن لا تتفوه الا بالبذاءة وكأنها خلقت منها، ولا تعرف لغة غيرها .

طرحت على ارض الزنزانة الرطبة، وحولي تفوح روائح الكنيف الذي امتلأ بالفضلات،فعاد المكان اشبه بمحل للجيف.

انطلق بي الجلادون الى السجن وارجعوني الى تلك الغرفة الكريهة التي حبسوني فيها أول مجيئهم، وحين دخلت فوجئت بلبانة طريحة تئن وقد غطت الدماء صفحة وجهها المشرق وتغير وجهها وتورم جسمها ووجهها حتى لا تكاد تعرف من هي .

وحين رأتني هشت باسمة ليّ وبعد لأي وجهد جهيد، قالت وهي تحمل نفسها على الكلام:

ـ تقبل الله طاعتك وذهب العناء وبقي الاجر.

الصبر ياهدى حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين،

وحاولت ان أأسو لها بعض جراحها لكنها رفضت قائلة:

انت اولى مني بذلك وانا أجدر بان أقوم به لك.

وأخذت جانبا من الغرفة المزدحمة لأستريح.

قالت لبانة بصوت خافت :

ـ لا تغفلي عن الصلاة فلم البث مليا حتى تيممت وصليت بعدها توجهت الى لبانة اسألها؟

ـ كيف عذبوك اظن انهم اساؤوا عذابك لقد كنت اسمع صيحاتك المؤلمة .

وتكلفت التبسم ثم قالت:

ـ لقد عذبوني كما عذبوك، واما صيحاتي فقد كانت نفثات قلب فقد التصبر والتجلد، ولقد ارجعوني مرة اخرى الى الضابط فقال لي:

لقد اعترفت هدى بالحقيقة، وقد انبأتنا بكل شؤونك وحركاتك او فلنقل جهادك هذا خير لك أن تقولي الحقيقة؟

ثم التفت الى مجرميه قائلا:

امسحوا الدم عن وجهها اظن انها سوف لن تعرض نفسها للأذى مرة آخرى وسرعان ما فعلوا فعاود الكلام قائلا:

ـ نحن على علم بكل تحركاتك ولكننا شئنا ان نسمع عنها من لسانك لنبين لك بعد اقرارك انك كنت مشتبهة آملين ان لا تقعي مرة آخرى في الاشتباه ثم تذهبين الى بيتك الجديد عاقدة العزم على ان لا تتورطي بمثل هذه الاعمال اللاقانونية .

فقلت له:

ـ لو كنت اعرف من نفسي وعملي ما تقوله عني لاعترفت به ولم اعرض نفسي لهذا العذاب المرير، واذا كانت هدى قالت شيئا فهي مجبرة على ذلك القول، وان الذي انتزعتموه منها هو نتيجة التعذيب، او لنقل انها كاذبة وعليك ان تحضرها لاناقشها في ما تقول انها قد اعترفت علي به .

ـ فكري في امرك فكر المتدبر العاقل الذي لا يريد الا صالح نفسه ولا تكوني حمقاء لا تجلب لنفسها الى الا الشرور والضرر.

ـ لو كنت قاتلة ثم عذبوني هذا العذاب لاعترفت ولكنني بريئة في ما اتهموني به وستعرفون اني بريئة ويضحك الضابط ساخرا وهو يهز رأسه:

ـ قاتلة القاتل اهون منك جرما ولو كنت قاتلة ما جئنا بك الى هنا الا تعرفين انك تريدين قتل الثورة لتستبدليها الناقة والخيمة والقطع والرجم والجلد في عصر الذرة والصاروخ وصعود القمر، وهذه جريمة عظمى ولكنك لا تشعرين بها ولقد كان ما رأينا، ومن الاجدر

بك ان تعترفي والاعتراف بالخطأ فضيلة سنجازيك عليه بالافراج عنك مع تعهدك الا تعودي اليه ابدا.

وسكت ولم اجد جوابا فتناول هو الكأس امامه ليشرب بالماء ثم يرمي ببقيته في وجهي .

ـ ماذا تقولين الا تريدين ان تعترفي؟

لو كان عندي شيئ لبحت به كما باحت هدى كما تقول.

ويشتد غضب الضابط اللئيم ويصر على اسنانه ويقول بغضب ظاهر :

ـ سأريك كيف تبوحين، ثم راح يجرني هو ومن حوله من جلاوزته بعد ان صفعني على وجهي صفعة قوية تطاير لها الشرر من عيني حتى اذا اوصلني الى مكاني الذي كنت اعذب فيه، امر ان اعلق هذه المرة من شعري وقضيت على ذلك حينا غبت فيه عن الوعي امدا وحين فقت، امر ان اعلق من الثديين على افظع صورة وذهب وعيي هذه المرة سريعا فما احسست الا وانا في هذه الغرفة وان الشهادة ماثلة امام عيني كأني اراها تبتسم لي تهش وتقول هيا الى الراحة الدائمة من هذا العذاب المر.

اترين لقد انكشف الغطاء عن عيني وها انا اشعر كأني مسافر كان يطوي البيداء بحثا عن ملاذ فوجده او لنقل قد اقترب منه، وها احس كأن روحي تطير في فضاء لا حد له ولا نهاية، واسرح في عالم سحري مضيء تبتسم لي ارواحه وتباغمني اطياره، وتمرح امام عيني حوره، انه ذلك العالم الحقيقي الذي وعدنا به، وجئنا لنكافح من اجل الوصول الى مقاماته، والعروج الى سبحاته، يا رب اشفق علينا وشدد جراحنا، وضمد كلومنا فهي في سبيلك راعفة، وفي طريقك ماضية، وليكن ما يكن من امرنا ما دمنا لم نتخط حدودك، ولم نعارض اوامرك، ولم نمتثل الا قولك، وهؤلاء يارب انر بصائرهم وعرفهم طريقهم، ودلهم صراطك فهم تائهون ومن اولى منك برد التائه الى مكانه وانتشاله من ورطته وضياعه.

لم يبق امامنا الا القليل لنحظى بالكرامة ولنكون مع الفائزين الذين صدقوا فيما عاهدوا، ووفوا بما وعدوا.كانت لبانة تتكلم وكأنها تودع الدنيا، و كأنها تتكلم من وراء الشفق، وكانت

كلماتها تنساب الى روحي قبل ان تصل الى اذني، فاطرب لها وتنسكب الدموع من عيني احس لها بردا وسلاما، انها تخرج من عيني فلا احس لها لذعا ولا حرقة، بل هي تنساب بهدوء السكينة، وتنسل انسلال النور برقة وصفاء من دون كدر او عناء .

اهي دموع الفرح يارب؟ اهي دموع الوداع من هذه الدنيا الفانية؟ انها دموع البشارة الربانية لعباده، يقويهم بها ويشد اعضادهم.

وتتم لبانة حديثها الاتي من وراء الغيوم، وكأنه موسيقى سحرية ترن في اذني او صوت ملائكي يرتل بالتسبيح والتهليل، انه عزف روحاني يردد انشودة السحر، وايقاع لم اعهد له مثيل يشنف سمعي في هذه اللحظات مع صديقة الجهاد ورفيقة الدرب المكافحة التي اعادت لنا صور سيداتنا واخواتنا في الكفاح من امثال زينب وسمية وغيرهن .

واتمت كلامها الذي يخرج مع انفاس تكاد تنقطع فتحس روحي انها ايضا تتمزق وتريد العروج الى ذلك العالم الذي تسرح فيه لبانة .

ولقد رأيت قبل ان افيق من الغيبوبة كأني وقفت على ساحل بحر عباب متلاطم الموج اتأمل في سعته وتلاطم تياره، وتأملت مليا فاذا في وسطه جزيرة خضراء زاهية تتألق بهجة وحسنا، ثم تأملت فاذا فتى قد جلس على طرفي الجزيرة قرب ساحلها يروح عن نفسه وحين رفع بصره نحوي رآني فرفع يده مشيرا اليّ ونادى قائلا:

ـ اليّ يا لبانة انا عماد وهذه الروضة الفيحاء هي مأوانا ومنزلنا .

قلت ـ وقد اخذ مني الشوق مأخذه وطغت في الرغبة الجامحة الى بلوغ ذلك المكان، وجمحت عندي الحيرة من امر الوصول اليه وليس عندي ايه حيلة الى ذلك فرفعت صوتي:

ـ وكيف اصل اليك وهذا البحر كما ترى؟

ـ لا تخافي قولي بسم الله ثم انقلي خطاك على الماء سترين انك كمن يمشي على الارض.

ـ انني اخاف ياعماد وقلبي لا يطاوعني.

ـ اتشكين في كلامي ـ افعلي ما قلت لك سترين اني صادق وما هي الا لحظات نازعت فيها نفسي خلالها بين الاقدام والاحجام حتى كنت اغمض عيني واقول بسم الله ثم امشي على الماء فكأنني امشي على الارض، خطوت اول خطوة على ارض الجزيرة ثم استيقظت وقلت في نفسي عند اليقظة لعل هذه الجنة وسط البحر الهائل من العناء والبلاء تجسيدا للقول الكريم:(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ الله الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) وقول رسول الله) : حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات).

وقلت ايضا ان عماد قد استشهد او انه في طريقه الى الشهادة وانني سوف الحق به بعد فترة من العناء وهي في الحقيقة لا شيئ امام العاقبة التي تنتظر الصابرين، وتهيّب الانسان منها لا معنى له، او مبالغ فيه كتهيبي من عبور البحر وخوفي من ذلك، وحين اتممت لبانة حديثها تنهدت ثم صمتت.

وفُتحت الباب فدخل احد الجلادين يحمل في يديه شيئا من الخبز وضعه قرب لبانة بعد ان بصق في وجهها وخرج، وقالت لبانة ـ اللهم ارزقني الصبر على البلاء والاجر في المحنة.

وعاملني بفضلك لا بعدلك، كلي يا هدى من هذا الخبز فانت لاريب جائعة أشد الجوع. وناولتني منه فاكلت ولبثنا على ذلك مدة من الليل نئن من شدة الجراح حتى احسسنا ان الليل قد مضى نصفه او كاد ففتحت الباب مرة اخرى ليدخل منها رجل قاس فظ غليظ ليحدق في وجه لبانة ثم يصيح فيها:

قومي ايتها... ومد يده اليها يجرها حتى اخرجها.

وبقيت بعدها اعاني هموما ثلاثة:

الم الكلوم في جسدي، والغم لحال لبانة، والارق الذي استعصى عليّ معه حتى النوم، ولا ادري كيف نمت لاستيقظ قبل طلوع الشمس لابادر الى الصلاة قبل ان يفوت وقتها، ومكثت في مكاني بعد ذلك اكثر من ثلاث ساعات، ففتحت الباب، ودخل احد المجرمين ليبادرني بالشتم المقذع، ثم يجرني الى سيده الضابط الذي حدق ّ فيّ مغضبا ثم قال :

لقد قررت ان اميتك تحت العذاب الا ان تعترفي بالحقيقة، واذا اعترفت فانني سأسعى لارسالك الى الخارج لتتعافي من مرضك، ولا اظن ان فوات هذه النعمة سيسهل عليك، وقد اتتني البارحة لبانة هنا واقرت بكل شيئ فاعتذرت لها عن الاذى الذي لحق بها، وان كانت هي السبب فيه لعدم اعترافها وقد ارسلناها الى احسن المستشفيات للمعالجة، ثم تغادر من هناك الى بيتها،وقد اخبرتني انها تتمنى ان تراك لترجوك الاقرار بالحقيقة مثلها لتنالي مثل ما نالت من الخلاص من سورات العذاب، ولكن احتياجها الى سرعة المعالجة منعها من لقائها بك، وها انا اخبرك بحقيقة ما صنعت وبرغبتها هذه .

احسست من لهجة كلامه انه يسخر مني، وان ما يقوله هو عين الكذب، وانه يريد ان يجرني الى الاعتراف الذ ي يعني القضاء على اخواتنا اللائي بقين في سجن العراق الكبير.

قلت له:

حسنا: صنعت لبانة حين اقرت بحقيقة ما تعلم من عملها ولا ادري اكان اعترافها ذلك صادقا او غير صادق، فانا لا اعترف عن امرها شيئا ولو كنت اجد ما اعرف به مما تطلبه انت مني لاعترفت على عجل لكي الحق بلبانة الى المستشفى اولا ثم الى البيت ثانيا.

فرد عليّ:

فكري في الامر جيدا ولا تفوتك الفرصة السانحة وسأمهلك ثلاثة ايام للتفكير، ثم ان اصررت على عدم الاعتراف سأنفذ فيك تهديدي وهو تعذيبك حتى الموت.

وامر الشخص الذي جاء بي ان يرجعني الى غرفتي، ورجعت حيث اتيت وانقضى يومان من المدة، وجاء اليوم الثالث ولم اعرف عن لبانة شيئا، ولم ينقض اليوم الثالث حتى

نقلوني الى غرفة مجاورة وبعيدة، وبُعيد منتصف الليل سمعت صوتها تئن وتبكي وقد جاءوا بها الى غرفتنا الاولى وفهمت من كلماتها هذه العبارة:

قتلتموه....اقتلوني لا طمع لي في العيش تعسا لحياة تنقضي في جحيمكم يا اضرى من الوحوش، وانجس من الكلاب، وسمعت بعد ذلك جسدها يهوي على الارض بعد ان دفعوها بشدة واوصدوا الباب ثم ذهبوا سمعت بعد ذلك صراخها الشديد يأتيني خافتا وأرهفت سمعي فاذا هي تدعو باكية وفهمت بعض فقرات من دعائها:

اللهم احشره مع الشهداء ولا تحرمني سرعة اللحوق به، اللهم عظّم اجره بعظم ما رأى من العذاب، وذاق مرارته.

اللهم ارضه عني فقد كنت سببا الى العناء الشديد الى قلبه، ولقد رأى بسببي من الجلادين ما لا يحتمله الا القليلون.

اللهم اشهد له قولته الكريمة لجلاديه:

الم الجراح في سبيل الله ما احلاها، ومر المذاق في سبيل الدعوة احلى من الشهد، عليّ ان اشكركم لانكم اوصلتموني الى ما اريد واطمح .

ولقد ذاق الاولون من منكرات البلاء في سبيل الحق مما هو اشد من عذابي الف مرة.

وظلت تناجي ربها حتى همد صوتها،وفتحت باب غرفتها صباحا وخرجوا بها يعنفونها ويغلظون لها السب والاهانة والوعيد حتى غابت اصواتهم عن سمعي فبكيت مليا ودعوت لها كثيرا وسألت ربي الراحة لها من عنائها.

وانقضى الموعد الذي حدده الضابط ولم يبعث اليّ وقد هزلت هزالا شديدا واثر فيّ سوء التغذية اثرا بالغاً فما هو الا الخبز يصحبه شيئ من الادام اكله على عدم رغبة فيه طمعا في سد الرمق ودفعا لغائلة الجوع المضني.

مكثت على ذلك بعد انتهاء الموعد الذي حدده الضابط واستدعيت بعدها اليه فنظر اليّ شزرا وشتمني شتما مقزعاً، ثم هددني بتنفيذ وعيده، ثم نادي احد جلاوزته قائلا:

خذها فارها العناد ماذا فعل بصاحبتها، واندفع المأمور يجرني بعنف حتى اوصلني الى غرفة من غرف التعذيب فرأيت امرا مريعاً اوشكت له عيناي ان تعميا، وقلبي ان يتوقف، وكدت ان اهوى الى الارض لولا بقية من قوة للتماسك والتجلد، لقد رأيت لبانة صريعة قد تغيّرت محاسنها ووجهها الفتان، وغمر وجهها الدم وكل انحائها، قد قيدت يداها وراءها، وأُوثقت رجلاها، وانتثرت خصلات من شعرها في ارض الغرفة، ووقفت مبهوتة خاشعة لجلال الشهادة وهو يكفن جسد هذه الصريعة الكريمة .

دمعت عيناي وفترت اطرافي، وسرى في جسدي من البرد ما سرى في جسدها من برد الموت وسكينته، تمثلتها امامي وهي تقص عليّ رؤياها التي رأت في المنام من عبورها ذلك البحر الهائج الى تلك الجزيرة الخضراء التي رأت زوجها قد سبقها اليها، وتمنيت في تلك الساعة ذلك الموقف الرهيب ومن ذلك القلب الخاشع الذي تعلق كله بالسماء ان ينيلني ما نالت وان لا يحرمني صحبتها في الاخرة.

هنا صاح بي احد الجلادين :

ـ اعرفتها جيدا. انها رفيقتك وقد سبقتك الى الراحة والشهادة ها ها ها، هل تريدين ان تلحقي بها تعالي لنصلي عليها صلاة الاموات. لا بل قولي صلاة الشهداء.

وهنا ضحك ساخرا ثم قال:

لا بل قولي صلاة الشهداء هيا الى نفس المصير ان لم تعترفي، وذكرني ما رأيت من منظرها صريعة بين ايدي اللئام، مهتوكة الستر رغما عنها، مدماة الانحاء، مصرع شهيدة الاسلام الاولى سمية بنت خياط بين ايدي الفجرة، وزادني ذلك عزما وصلابة واستعذبت ان يفعل بي المجرمون ما فعلوه بصاحبتي، وحين اقبلت على الضابط تبسم وقال :

ـ مالي لا اراك تبكين على صديقتك الوفية، هل هذا هو الوفاء عند المجاهدات، ام غلب عليك الخوف من نفس العاقبة فمنعك من التأثر والبكاء؟ حسنا لقد قدمت لك آخر انذار فيها تهيأي واحزمي امرك ولا اظنك ترغبين بالانفصال؟ اما ان تعترفي او تذهبي الى الموت، ثم نادي على احدهم :

خذها فالحقها بصاحبتها واقبل عليّ الوغد فجرني ولا أدري كيف حانت مني التفاتة فرأيت الضابط يشير اليه بيده بعلامة عدم الشدة في التعذيب، وأدى المأمور ما أمر به، ثم ارجعني الى الضابط بأمر منه وحين وصلت صاح بي:

تعالي وقعي هذه الورقة التي رتبتها أنا رحمة بك واحسانا اليك لاسرع في اخراجك من هذا المكان وأنت مريضة وبحاجة الى الراحة.

ـ فهل تسمح لي ان اقرأ ما فيها؟

ونظر الي ممتعظا ثم قال غاضبا:

ـ اقرأي بسرعة ووقعي.

ورحت اقرأ فاذا به يثبت عليّ فيها ما انكرته وتحملت العذاب من اجل انكاره، وبعد ان اتممت رفعت نظري الحائر اليه وقلت :

علام اذن تحملت العذاب كله؟، فلو كان هذا صحيحا وثابتا عليّ فلِمَ لم اوقع من اول الامر ولِمَ تحملت كل ذلك العذاب المضني، وقاسيت الم السياط المبرحة التي شقت طرقها على جسدي، وأوهنت عظمي، ونهشت لحمي.

ـ اذن لا تريدين ان توقعي؟

ـ اظن ان لي عذري ولو كنت انت مكاني فما في وسعك ان تفعل في هذه الحالة.

ـ كنت اوقع وانهي مأساتي.

ـ اما انا فلا يأذن لي ربي ولا ضميري أن افتري على الآخرين او على نفسي .

ـ فمن هوالذي اذن لك في الافتراء على اولئك المناضلات واتهامهن بانهن من رفيقاتك في العمل لتوقعيهن بالاذى وتوقعينا في الاحراج؟

ـ انني لم اتهم نفسي اولا بان عندي العمل الذي تعنيه، ثم لم اتهمهن بانهن رفيقات عمل بل مجرد صديقات.

واطرق مليا ثم رفع رأسه ليقول :

ـ حسنا حاولت جاهدة ان تدفعي عن نفسك جرم المعاداة للثورة ومحاربتها ولكن اعلمي ان العقوبة ستلاحقك بعد خروجك من هنا، وتنالين الجزاء على ذلك الجرم .

ثم نادي احد اعوانه قائلا له:

لقد اتعبناها واذيناها كثيرا واظنها الان جائعة آتها طعاما لذيذا ولا تنس ان تصحبه شيئا من الفاكهة، ولا تنس ان تأتي بالشاي من بعده.

وابدى المأمور علامة الطاعة ثم انصرف، وبقيت انا افكر محتارة ما الذي غيّر من نفس الجلاد؟ الذي يفكر به الآن، ماذا يريد ان يفعل بي بعد ذلك؟، هل تراهم سيفرجون عني وهذه علامة ثبوت براءتي عندهم؟ وظللت أدور في الدوامة حتى جاء المأمور وبيده الطعام المطلوب فوضعه أمامي قائلا:

ـ هذا هو الطعام وسآتيك بعده بالشاي .

فقلت له :

ـ لا داعي للشاي لانني لا اشعر بمسيس الحاجة اليه.

فقال الضابط:

ـ كيف؟ الشاي لابد منه لمثلك .

ـ لا احب ان اسبب العناء لهذا الانسان .

ـ انه في خدمة الشعب اعني الذين لا يعادون الثورة من الشعب .

ـ وهل ثبت لديك انني لا اعادي الثورة؟

ـ اذا كنت تعادينها من قبل فانت سوف لن تعاديها بعد الان .

ورحت آكل من ذلك الطعام فان حاجتي الى الطعام كانت تلزمني الاكل حتى استوفيت حظي منه، ثم جاءني بالشاي فشربت بعدها قال الضابط:

لمَ لا تقدمي لنا الشكر؟.

ـ على ماذا؟!! على التعذيب ام على التحقير؟

ـ وهذه واحدة منك ايضا نسكت عنها ولا نحاسبك عليها، كما سكتنا عن اكذوبتك بادعائك انك لبانة واعطاء اسماء مناضلات زاعمة انهن من جماعتك المخربة، وقد سببت لهن ذلك بعض الترويع والازعاج لتري من ذلك مقدار حلمنا حتى عن الذين يسيئون الينا اكبر الاساءة ويكذبون علينا اسوء الكذب.

ثم اخذ يحدق فيّ مليا وقال بعدها:

ـ حسنا ليس عليك آثار توجب تأخير خروجك فاستعدي لمغادرة هذا المكان بعد ثلاثة أيام على ان توقعي على تعهد بعدم سلوك سبيل معاداة الثورة والحزب او السعي للاضرار بها بأي وجه، وعدم ذكر اي شيئ مما جرى لك هنا، والا فانك قد رأيت بام عينيك كيف يكون جزاء من يعادينها او يخالفن أوامرها وأشار الى احد جلاوزته قائلا:

ـ خذها الى مكان أنظف مما كانت فيه، وأعطها لباسا جديدا وأرجع اليها حجابها، وأحسن اطعامها، ولا تنسى ان تأتيها بالدواء اللازم تداوي به جروحها.

وانطلق المأمور الى مكان آخر لم أره من قبل، وادخلني غرفة نظيفة ثم جاءني بلباس ودواء وأغلق الباب وانصرف، وكأنني احسست بالسرور لما حدث فحمدت الله ولا ادري كيف عدت بعدها الى دوامة، التساؤلات والمخاوف. ماالذي غيرّ تصرفات هؤلاء عني؟ وماالذي صرفهم عن ان يفعلوا بي فعلهم؟ اترى وراء ذلك نوايا سيئة ستكشفها الايام؟ لاكن صريحة مع نفسي ولاقل اتراهم اطعموني سبب الموت ثم يخرجونني لاموت خارج سجنهم ليقال ماتت حتف انفها ولا احسب عليهم جريمة من جرائمهم؟

واحسست بدخول وقت الصلاة فسكنت مشاعري وهدأت نفسي فقمت لاطرق الباب مستدعية احدا منهم عسى ان يهيأ لي السبيل الى الماء كي اتوضأ، فجاءني احدهم واخبرته بحاجتي فدلني على مكان الماء، وحين اقبلت على الماء تذكرت ان بعض مواضع الوضوء متنجسة ولا يمكن ازالة نجاستها بسهولة وفي بعضها جروح لم تندمل، بل لا تزال تنزف فاكتفيت بغسل يدي وشربت غرفتين من الماء ثم رجعت ادراجي فسألني المأمور:

ـ هل هذا هو الوضوء؟ فقلت: لا

ـ ان الوضوء لا يصح الان.

فاطرق رأسه قليلا ثم تحسر قائلا:

هنيئا لكم تعيشون في دنياكم مرتاحي الضمائر والقلوب، واذا كانت هناك آخرة فانتم مرتاحون ايضا، اما نحن فنعيش في هذه الدنيا مع صراع النفس أشد العذاب، وان صح ما تقولون من وجود يوم القيامة فعذابنا أشق وأدوم، تعسا ليوم دخلت فيه هذا المكان، وتحملت مسؤولية اقذر مهنة في الدنيا، انا تعيس انا اتعس انسان في العالم، ثم ارجعني الى مكاني وانصرف وقد علت وجهه غبرة الذل والاسى، وبقيت في حيرة مما سمعت حتى ان اذناي لم تصدقا ما قال اكان يهذي؟ ام انه قالها عن عقل وشعور؟ اهو الضمير الذي لا يبارح الانسان ولا يفارقه؟، تذكرت أعداء الحسين عليه السلام يوم الطف وبكاء بعضهم عليه حتى ان سيدهم ابن سعد بكى لما شاهدالمصرع، قلت في نفسي ان الله سبحانه لم يترك حتى عباده العاصين المعاندين دون جرس انذار يدق في وجدانهم يصيح بهم انتبهوا، عودوا، ارجعوا

فالظلام حالك، والصحراء قاحلة لاهبة غرثى تقتل ولا ترحم. عودوا قبل ان تفوت الفرصة. وانقضت الايام الثلاثة الموعودة فاخرجوني الى الضابط الذي اخرج لي ورقة التعهد فوقعت عليها ثم اوصلوني الى الشارع العام بعد ان أعطوني خمسة دنانير، وعجت في اعماقي الاحاسيس.

(ما اعذبك ايتها الحرية التي وئدت على ايدي الجناة! وما ارحبك ايها الفناء الذي صيره البعثيون علينا قبرا! وما اشهاك ياهذا النسيم المنعش الذي تشممت بدلا عنه في سجون الظالمين كل ريح خبيثة).

وانسابت دموعي لهذه المشاعر، ثم اتخذت السبيل الى بيتي ولا ادري كيف أصف مشاعري ومشاعر أهلي واخص منهم والدتي حين طرقت عليهم الباب ففتحت لادلف منها الى البيت لاكون امامهم وجها لوجه فكأن قلوبهم قد شخصت لي من صدورهم لتحتضنني وتعانقني، ولتمتزج القبلات بالدموع، وكان مشهدا عشته عزّله النظير في حياتي.

وتمر الايام فأحس معها شيئا فشيئا بسطوة المرض باتت تسري في عروقي، فتذكرت هنا ذلك الاكل المسموم الذي اطعمنيه الجلادون وراحت كلمات ذلك الضابط الكريه ترن في اذني:

ولكن اعلمي ان العقوبة الالهية ستلاحقك بعد خروجك من هنا، وتنيلك جزاء ذلك الجرم، وتذكرت مخاوفي واحاسيسي بعد ذلك الطعام وانا بعد في السجن، (اتراهم اطعموني سبب الموت فاخرجوني لاموت خارج سجنهم ليقال ماتت حتف انفها، والح عليّ نداء من داخل نفسي ان اكتب ما قاسيته مع هؤلاء الظالمين في مذكرات كأنني اعيش كل واحدة منها في وقتها، واتركها للاجيال والتاريخ يتعرفان منها بعضا من منكرات البعث اللئيم التي لا مثيل لها على مدى الزمان الممتد الحافل بالفجائع والنكبات).